

## من خلاص الفرد الى خلاص الجماعة

### دراسة في حياة ابي الطيب الشعرية

هذا فضلا عن وجوب التزامها جانب الحذر والتقسية والروية لانها مدرجة للخطأ مثيرة لحساسيات كانت وما تزال شديدة الفعل في النفوس .

#### العراقيات الاولى :

ان الاخبار التي روتها المصادر عن هذه الفترة ، قليلة متناقضة ، عن قصد وتعمد في تقديري . وفيها تنطمس امامنا معالم نسبه ، وانتماءاته . ومعظم ما حيك حولها من اخبار في الفترة العراقية الاخيرة ، لا يخلو من تشويه واقتراء ، كان مصدره في الاكثر حلقة المهلبي ، وزير معز الدولة البويهي ، وما بقي لنا من شعره فيها بعد تهذيبه واسقاط ما اسقط منه ، ليس اكثر من مقطوعات قليلة تنم عن مشاعر السخط والعنف والثورة التي كانت تنتابه آنذاك . ولعله ادرك ان « حقه » « لط » وان عليه ان يشب وثبة ماجد ، يعتمد على سيفه ، وعلى ثقته بالله ، وهو حري بهذا ، اذ لا احد فوقه ولا احد قبله من هؤلاء الذين يظرون له السوء وينكرون عليه حقه ، ويتآمرون عليه وعلى أسرته (1) .

ثمة ثلاث قصائد تنتمي الى هذه المرحلة . احداها في خطاب رجل اسمه ابو الفضل (2) : « ذكر انه قالها وهو ما يزال يتلقى العلم في مكتب للعلويين وان ابا الفضل اراد ان يستكشفه عن مذهبه . فلم كانت عملية الاستكشاف هذه ، ومن كان ابو الفضل هذا ، الذي كان يخاطبه الشاعر الفتى بتواضع وفي حذر متأن رفيق ؟ لعله كان يحاول في تلك الفترة المبكرة من حياة الشاعر ان يثير فيه حب الاستطلاع ، ويوقع روحه في القلق

ما تزال سيرة ابي الطيب ، اعظم شعراء العريية واكثرهم اصالة مكتنفة بالغموض لاسباب عدة ، تعود في اكثرها الى انفته في عصر غابت فيه الانفة ، ونقمتيه الدائمة التي انطلقت من حقه الشديد على اولئك الذين حرموه « حقه » ، والذين طاردوه ولاحقوا اسمه ونسبه وشهرته في كل مرحلة من مراحل عمره القصير ، وحزنه العميق على ما آل اليه السلطان العربي ، الممثل في الخليفة ، اذ اصبح خرقة بالية ، ورمزا دينيا واهيا ، وانتقل من يدي ابنائه واصحاب الحق فيه الى ايدي المتأمرين من الاتراك واتباعهم ، وما زال ينحط ويتدهور منذ عصر المعتصم حتى عصرنا هذا ، مرورا بعصر ابي الطيب اذ بلغ قمة التدهور وبدأ الانهيار الحقيقي يدب في اشلائه منذ عهد معاصر الخليفة المقتدر . ولذا فليس من الغريب ان نعتبر ابا الطيب بحسه القومي الصادق وبادراكه العميق لمشكلات الحضارة واسباب انهيار الامم ، اكثر معاصرة من اكثر شعرائنا المعاصرين . وان يكون لديه بما وهب من فطنة ونفاذ بصيرة ، القدرة على التنبؤ بمستقبل امته . وان يكون صوته المدوي باروع العبير واجمل العبارات نديرا لهذه الامة لمدى عشرة قرون او اكثر - وبذا يصح قوله في نفسه حين سئل عن نبوته فأجاب : انا اول من تنبأ بالشعر ، وان يكون ، كما وصفه القاضي الفاضل ، ناطقا عن خواطر الناس .

وقد تبين لي ، ان المرحلة الاولى من حياته ، مرحلة الكوفة وبادية السماوة وبغداد ، قبل ان يتخذ قراره الحاسم بمغادرة العراق الى بلاد الشام ، هي التي تملك مفاتيح كل دراسة جادة لحياته ومبادئه وشعره . ولما كانت هذه الفترة اشد الفترات غموضا في حياته ، فان دراستنا هذه ، وكل دراسة اخرى لا بد من ان تخوض في بحار مظلمة مضطربة ، وان تعتمد على الكثير من التخمين .

(1) انظر الواحدي ٢١ ، وعزام ٧ .

(2) انظر الواحدي ١٧ ، وعزام ٨ .

## اعتذار

كنت ارجو لهذه الدراسة ان تبلغ غايتها فتتناول حياة ابي الطيب الشعرية منذ بدايتها حتى نهايتها . ولكن ضيق الوقت وتشعب البحث حالا دون ذلك . وانا لا اعتبر الدراسة منتهية وسامضي في استكمالها حتى نهاية حياة ابي الطيب . لان مشاعره الغومية لا تتضح في هذه المرحلة التي تناولها البحث ، وانما كانت تتممات تبعا في مراحل متاخرة تعبير صريح عن حس الشاعر القومي وصورة البطل القومي كما تخيلها وصورها ابلغ تصوير . ومن الظلم لهذا الشاعر الذي اعتبره اعظم شعراء العرب واكثرهم اصالة ومعاصرة الا تتضح حقيقة مشاعره واهدافه لابناء هذا الجيل الذي هو في اشد الحاجة الى شاعر كابي الطيب يوعيه بقضايا امته ويفتح عينيه على الاخطار المحدقة بها .

والحيرة ليعرض عليه مبادئ بعينها ، الى جانب ما كان يقدمه له من هبات سخية ، تعينه على بلوغ مأرب فيه . ان بناء القصيدة والفاظها وعباراتها تضعنا في جو غريب من الاضداد التي جمعت في متشابه ، وصفات هذا الاوحد التي بهرت واصفيه فانطقهم وافحمهم ، وذلك الجوهر المصفى من ذات ذي الملوكوت ، حتى غدا نورا بلغ منزلة اللاهوتية ، واتاح له علم ما لا يعلم ، فهو « اله » ، يحار محدثه افي حلم هو ام في يقظة ، ولكنه لا شك في يقظة شديدة ، يقظة الوصول والاتصال التي يفوق فيها العيان اليقين .

قصيدة عجيبة ، تسي بامور ندرتها بالفهم وان كنا لا نستطيع ان نثق فيها بخبر او علم . انها نوع من الجيشان النفسي المربع الذي يفرز الرؤى الغيبية والمشاعر الباطنية في ومضات خاطفة . ولا شك ان نفس ابي الطيب ، على حداثة سنه آنذاك ، كانت تنمو نموا باطنيا وتنكمش الى اغوار سحيقة في الذات وهي تتجرع غصص هذا الالم العميق الذي يمزقه بين مشاعر القبول والرفض ، والثورة والاستسلام .

القصيدتان الاخيرتان اللتان تنتسبان الى هذه المرحلة ، اذا صححت روايات الديوان واخيار المؤرخين ، قالهما في ابي الحسن محمد بن عبيدالله العلوي المشطب - محمد بن عبيدالله بن محمد بن عبيدالله بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وهو احد علويين مدحهما فيما بين ايدينا من ديوانه . وكان له - كما يقول ابن حزم - قدر بالكوفة ، ومنزلة عند الديالمة ، يعارض بها منزلة بني عمر العلويين بالكوفة (٣) . وكان محمد بن عبيدالله قد واقع بظاهر الكوفة قوما من العرب الذين كانوا كثيرا ما يغيرون على القرى والاطراف في ذلك الوقت ، وهو شاب دون العشرين ، فقتل منهم جماعة وجرح في وجهه فكساه

الجرح حسنا . ويزعم بلاشير ان هذه القصيدة قيلت في المدوح وهو في بغداد ، اثناء زيارة المتنبي لها ، وكان ثريا واسع الثراء يقيم في قصر منيف في ربض حميد على الضفة اليمنى من دجلة ، وكان القصر فيما مضى للوزير ابن الفرات قبل مصادرته سنة ٣١٢ هـ . (٤)

ومهما يكن من امر فان في القصيدة (٥) دلالات وايحاءات كثيرة . اولها روح « التبدي » الظاهرة فيها ، فالقصيدة تنضح في مقدمتها الغزلية ، وفي سياق وصف الرحلة ، وفي الفاظها ومعانيها عامة بروح البداوة التي عاد بها ابو الطيب من بادية السماوة ولزمته طول حياته ، وتجلت في اخلاقه ، وفي مواقفه وفي صورته الشعرية . انها في نظري اول بادرة تنم عن اختيار متعمد لمسلك في الحياة ، سيلتزمه ابو الطيب . ويحرص عليه ، ليكون له مهربا او عزاء او وسيلة فعل في حضارة يعيش فيها وهو يرفضها ، وضمن انظمة وجماعات تفرض سلطانها عليه ، بحكم وجوده فيها ، وهو ينكرها ويتمرد ثم يثور عليها ويقول : وما انا منهم ، بالعيش فيهم (٦) .

ولم يستطع ناقد متحامل مثل سعد بن محمد الازدي الشاعر ، الملقب بالوحيد ، ان يدرك في تعليقه على شرح ابن جني المعروف بالفسر ، ان هذا التبدي ، في شعره وهيئته لم يكن حبا في الغرابة ، او رغبة في مجافاة الحاضرة أي روح العصر ، بل كان موقفا حضاريا وقوميا اختاره ابو الطيب منذ عاد من السماوة ولزمه في شعره ونهج سلوكه حتى اواخر ايامه ، حين احس بقربته ، غربة الوجه واليد واللسان ، في عالم ليس له . يعلق الوحيد على ابيات لابي الطيب بقوله :

« كان اول امر المتنبي انه اظهر البدوية حدثني احد بني الفصيص بجبله قال : انحدر من جبال الشراة بقاء كرايس محشو وزربول في رحله وعمامة زرقاء من قطن تعمم بها مشتناك بذوايه ويستر وجهه بطاق منها متنكبا قوسا عريية » (٧)

وفي القصيدة ما ينم عن صداقة قديمة بين الشاعر وممدوحه ، واياد سابقة لهذا العلوي على ابي الطيب الذي رأى فيه اول صورة للبطل العربي الذي اكتملت فيه صفات المروءة ، بمفهومها الجاهلي ، فهو كريم المحتد ، اريحي وفي ، ذو حسية ، وفارس مفوار ، يجيد الطعن بالقناة والضرب بالسيف ، حتى ليبلغ فيهما الغاية ، كثر حساده لفضله وشجاعته ، كما كثر حساد ابي الطيب ، ولقد ساد قبيلته وهو امرد لم يتجاوز سن الاحتلام . ولعل ابا الطيب رأى فيه صورة نفسه ، التي عبر عنها

(٤) بلاشير : ابو الطيب المتنبي ٦٢ .

(٥) انظر الواحدي ٦ وعزام ٢ .

(٦) انظر الواحدي ١٦ . وعزام ٩٢ .

(٧) ابن جني - الفسر ٢ : ٤٩ ب .

(٢) جمهرة الانساب لابن حزم ٥٦ .

بشعره آنذاك ، ثم حققها في تمردة على الأوضاع المتردية ،  
وثورته على السلطة في بلاد الشام .

القصيدة الثانية في مدح العلوي ( ٨ ) ، وردت في  
زيادات ديوانه الذي حققه الدكتور عبدالوهاب عزام .  
نسجها مهلهل ، لا يضاهاى نسج سابقتها ، وقد الجيء  
الشاعر فيها الى ضرورات كثيرة والى عبارات متكلفة ،  
والى صور مضطربة التشكيل ، وانا اميل الى استبعادها ،  
ولعلها مما قاله ابو الطيب في اول صباه ، وقدمها الى  
صديقه وتربيه العلوي آنذاك او لعلها مما مدح به احد  
الشعراء المستجدين ذاك العلوي الثري السخي ، فنسبت  
الى ابي الطيب اشهر مادحيه .

حوالي سنة ٣٢١ هـ ، فارق ابو الطيب العراق ،  
ولعله اراده ان يكون قراقا من غير رجعة ، اذا لم تدفعه  
الاحداث المتعلقة بنسبه وجدته واسرته وحقه المهضوم  
الى العودة . وكان قد رسم لنفسه خريطة واضحة  
لواقع العصر وحقبة القوى المتصارعة فيه .

ففي بغداد شهد هوان الحكم العربي نتيجة ضعف  
الخلافة المقتدر ، الذي كان لهما على وضم كما وصفه  
ابو الطيب ، لتهالكه على الترف والملاذات وخضوعه في  
القصر لنفوذ الحرم ، ابوالدة الاغريقية شغب والقهرمانه  
ام موسى الهاشمية . وفي الحكم لسلطة الامراء الاتراك  
وعلى رأسهم مؤنس المظفر ، ونوابسه واتباعه وفرقه  
الخاصة . ولعله ادرك هذا الضعف المتخاذل من ناحية ،  
وتلك السلطة الغلبة من ناحية اخرى اثناء اقامته في  
بغداد ، حين خلع الامراء الاتراك المقتدر ، ونصبوا اخاه  
مكانه ، ثم اعادوه الى الحكم بعد ان رضخ لشروطهم وادرك  
انه لا قبل له بمقاومة الجيش الذي كان على رأسه الامراء  
الاتراك . وقبل ان يفادر ابو الطيب العراق كان الجيش  
بزعامه الاتراك قد قام بانقلاب ، واصطدم مع انصار  
الخلافة ، واستطاع ان يهزمهم وان يقتل المقتدر ، وبقتله  
طعنت الخلافة في الصميم ، وظل جرحها ينفر حتى قضي  
عليها .

وادرك ابو الطيب قبل مغادرته العراق اشياء اخرى ،  
فقد بلغ من هوان السلطة المركزية ان كثر الثائرون  
عليها المتطلعون الى تخطف اشلائها ، وبالتالي القضاء  
على سلطان العرب . فمرداويج بن زيار مؤسس الدولة  
الزيارية رفع شعارا صريحا ، كان يرفعه كثير من  
الثائرين والمدعين والخوارج في عصره ، وهو « انا ارد  
دولة العجم وابطل دولة العرب » . وميمون القداح قبله  
رفع شعارا مشابها يعبر عن اهدافه السياسية التي  
كان يخفيها وراء اهدافه الدينية ، وهو رغبته في  
القضاء على سلطان العرب . وعلى الدين الاسلامي الذي  
جلب اليهم تلك السلطة وارجاع مجد ايران ثانية .  
ولم تكن غاية القرامطة ، الذين تكررت هجماتهم على

مدن العراق في سنوات ابي الطيب الاولى ، والذين اشترك  
ابو الطيب في حربهم ، مختلفة عن تلك الفيات .  
ولم يكن ابو الطيب ، وهو صاحب الحق ، يرى  
نفسه دون هؤلاء جميعا ، ففي تراثه وحقه وموهبته  
وادراكه العميق لازمة العصر ما يعينه على ان يثور كهؤلاء ،  
وان كان هدفه يختلف عن اهدافهم ، اذ لا بد ان يسلك  
مسلكا معارضا لمسلك خصومه الذين هضموا حقه ،  
وان كان سيثور قسيثور كفاية انبل وهي احياء روح  
البداءة ، ومثلها في المروءة والرجولة والتعرب ، مقابل  
ما كان يطرح باسم الدين والسياسة آنذاك من دعوات  
غايتها الخفية القضاء على العرب والسلطان العربي .

خرج ابو الطيب من الكوفة وهو على وعي تام بالقوى  
التي تنتاش مصير الامة . فهناك المتسلطون في عاصمة  
الخلافة من الاتراك ومن اليهم ، وقد اثر ان يتجنبهم فلم  
يتصل بهم ولم يمدح احدا منهم ، ولو كان مطعمه في  
عسجد يستفيده لفعل ، ولاغدت عليه العطايا والهبات  
ولقرت نفسه وطاب مقامه في بلاده ، ولكنه كان يرى فيهم  
اعداء لمطامحه ولأتمته ، غير جديرين بغير الاطراح والازدراء .

وهناك البويهيون الديلم ، الذين تحالفوا مع بعض  
خصوم الخلافة من اصحاب النحل ، ورفعوا شعار  
سيدهم وولي نعمتهم مرداويج وكانت اسماء مؤسسي  
دولتهم ، الاخوة الثلاثة ، علي وحسن واحمد ، قد اخذت  
تردد في احداث ايران الغربية وتبلغ اصدائها العاصمة ،  
واستطاعوا ان يقتطعوا لانفسهم عددا من الولايات الشرقية ،  
ولم تأت سنة ٣٢٢ حتى اصبح الجنوب ملكا خالصا لهم ،  
استولوا عليه كما استولى السامانيون والزياريون على  
اجزاء اخرى من ايران ولم يبق بيد الخلافة الا حدود ايران  
الغربية . وكان باستطاعة ابي الطيب ، لو شاء ، ان يضمن  
لنفسه غدا مشرقا مع هذه القوة الجديدة التي ظهر عنفها  
وعنفوانها منذ اخذت تنسل تدريجيا من طاعة مرداويج  
وتصنع لنفسها امجادا خاصة مستقلة عن سيدها الزباري .  
ولكن تاريخ هذه الاسرة ، وتاريخ اعتناق الديلم الاسلام ،  
وتحالفاتهم مع بعض القوى التي كانت تعاديه وتضمر له  
الشرقي الكوفة ، وتطلعها الى الاستيلاء على السلطان  
العربي ، كل هذا جعل ابا الطيب يظن انها ولا يلقي الى  
زعمائها بالا حتى فيما بعد ، عندما بلغوا اوج عظمتهم ،  
كما كان شأنه مع معز الدولة ووزيره المهلب في اخر  
زيارة قام بها الى بغداد بعد عودته من مصر .

وكان ثمة بنو حمدان ، وكان لهم ثقلهم الكبير في  
السياسة العباسية منذ سنة ستين ومائتين .  
واستطاعوا بتودهم الى الخلافة ، وبمآثرهم في هزيمة  
بعض خصومها ان يتولوا بعض الولايات للمقتدر في اوائل  
القرن الرابع . وكان من أبرزهم ابو الهيجاء الذي عظم  
سلطان الحمدانيين في عهده ، وبرز اسمه حين ولاه  
المقتدر الموصل والجزيرة ، ثم قي صد القرامطة عن بغداد  
سنة ٣١٥ . وورثه من ابنائه الحسن (ناصر الدولة) ، وعلي

( سيف الدولة ) الذي سيكون لابي الطيب معه شأن عظيم . كانت اسماء زعماء الحمدانيين تتألق و ابو الطيب ما يزال في العراق ، وكان ابناء هذا البيت العربي العريق يلفتون نظره ونظر كل من يتطلع الى انتفاذ السلطان العربي من امراء الاتراك ، والمتغلبين على الاطراف . فهذا فريق ينفي لابي الطيب ان يراهن عليه وان يختبر حظه معه . وستكون محاولة ابي الطيب لربط حظه بركاب الحمدانيين ، اولى محاولاته للاتصال بالقوى البارزة خارج العاصمة ، في بلاد الشام التي كانت ، بقباثلها الثائرة وبالمتطلمين الى اقتطاعها والاستئثار بها دون الخلافة المركز الثاني للمعارضة ، اذا اعتبرنا بلاد فارس المركز الاول .

ففي سنة ٣٢١ كان ابو الطيب يجتاز حدود العراق في طريقه الى بلاد الشام ، فمر برأس عين وقد اوقع سيف الدولة بعمر بن حابس من بني اسد وبني ضبة ورباح من بني تميم ، فاهتبل ابو الطيب الفرصة لعقد اواصر الود مع هذا البيت العربي الذي كان له فسي السياسة العباسية شأن عظيم .

في هذه القصيدة (٩) يسوق ابو الطيب الفزل الذي يقدم به للمديح في ديباجة بدوية ، كان يؤثرها دوما وخاصة في مديحه لامراء العرب ورؤسائهم ، وبيالغ في وصف ما يراه في ممدوحه من صفات الفتوة والمروءة ، مما استخلصه هو لنفسه ، وما يتمنى ان يرى عليه البطل العربي المثل ، صنوه او بديله ، وفي آياتها ما يؤكد ما ذهبنا اليه من معرفة ابي الطيب بمآثر هذه الاسرة العربية ، التي ستكون احدى القوى التي سيلجأ اليها اذا اخفق تدبيره ، وباءت خطته في استخلاص حقه وفي خلاصه الفردي بالخية .

ويروي الرواة ان ابا الطيب لم ينشده هذه القصيدة ، ولعل ظروف المعركة واضطرار سيف الدولة الى الانسحاب منها حالت دون ذلك ، او لعله طواها لما ستثيره عليه من غضب بعض القبائل ، في وقت كان يخطط فيه للاتصال بالقبائل الشامية ليعجم عودها ويستعين بها على تحقيق هدفه .

القوة الثانية التي لفتت اليها ابا الطيب آنذاك ، وهو بصدد التخطيط لمستقبله ، هي قوة محمد بن رائق . وقد قلد ابناء رائق ، ابراهيم ومحمد ، شرطة بغداد مكان التركي ناروك سنة ٣١٧ ، وكان ابو الطيب ما يزال في العراق ، وصرفا عنها بعد سنة ، واعيدا اليها وضمت اليهما الحسبة في السنة التالية ، وبرز اسم محمد بن رائق كذلك بعد مقتل المقدر ، اذ انضم الى الحزب المؤيد للخليفة امام مؤنس التركي وانصاره . وسيكون له دور كبير فيما سيأتي من احداث وخاصة في الوقوف امام مطامع الاخشيديين .

والاخشيديون هم القوة الثالثة التي كانت تبرز امام

ابي الطيب في حلبة الصراع على الحكم في بلاد الشام . وقد كان للاخشيديين دور كبير في احداث الدولة الطولونية ، ولعلت اسمائهم في مناصب عدة تولوها . وفي عهد المقدر و ابو الطيب في العراق ، ولي محمد بن طفج على الرملة ثم اضيفت اليه دمشق ، وفي السنة التي غادر فيها ابو الطيب العراق ضمت الى ابن طفج ولاية مصر ، فضلا عما بيديه من بلاد الشام . وكان ابو الطيب ، دون شك ، يتتبع هذه الاخبار وسواها مما يحدث في ايامه لانه كان يخطط لمستقبله ، ويسعى لاستخلاص حقه المهضوم ، على ضوء صراع القوى في المنطقة ، وخاصة في بلاد الشام ، التي اختارها لتكون منطلقه الى تحقيق غاياته .

ولكن ابا الطيب كان يدرك انه ، وهو الضعيف الجول ، المحاط بالحساد والمتآمرين ، لا يستطيع ان يدخل طرفا في قوة من هذه القوى قبل ان يحقق شيئا بجهد الخاص ، يلفت اليه انظار المتصارعين على الحكم ، وخاصة هؤلاء الذين يرضى عن خطتهم ، ويلتقي معهم في مشاعره العربية العامة ، التي ستجده اخيرا الى استرداد السلطان العربي من ايدي اولاء الذين احكموا الطوق حوله وضيّقوا عليه الخناق ، وسلبوه كل قدرة على الحركة او العمل . ومن هنا اتجهت انظار ابي الطيب الى القبائل العربية في شمال الشام ، وكان قد خبر الكثير من طبائع البدو وادرك ما يعتمل في اعماقهم من روح التمرد والثورة على السلطان ، وعرف فيهم صفات المروءة والفتوة التي كان يتعشقها ، ويدرب نفسه على انتحالها .

#### الشاميات الاولى : في جولته الشامية الاولى ،

قبل سجنه ، قصد ابو الطيب القبائل العربية وكان بدويا في زيه وطباعه واخلاقه وشعره مما سهل له ان يتغلغل فيهم وان يكسب ودهم ويحوز ثقتهم .

حفظ لنا الديوان في ترتيب ابن وكيع ، وهو اسلم ترتيب في نظرنا ، زهاء عشرين قصيدة ومقطوعة ، قيلت في بعض امراء القبائل من الكلابيين والطائيين ، وقيل بعضها في مناسبات اخوانية كانت تجمعهم ببعض شخصيات العصر التي لا تعني مصادر التاريخ والادب بذكرها . وبعض هذه القصائد قيل فيما ارى ، في بعض الولاة .

القصيدة الاولى التي تنتمي الى هذه الفترة هي قصيدته في مدح سعيد بن العباس بن الحسن الكلابي - سمته بعض المصادر سعيد بن عبدالله - وكان فيما يبدو اميرا من امراء بني كلاب الضارين على الضفة اليسرى من الفرات تجاه منبج . وهو والد اميرين اصبحا سنة ٣٢٤ و٣٣٣ حاكمين على حلب من قبل الاخشيدي (١٠) . يبدأ ابو الطيب القصيدة (١١) بمقدمة غزلية بدوية ، ثم

#### - التمهة على الصفحة - ٦٠ -

(١٠) انظر بلاشير ٦٧ ، وهو ينقل عن اعلام النبلاء للطباخ . وانظر

ابن العديم ١ : ٩٨ ، ١١١ .

(١١) انظر الواحدي ٢٤ وعزام ١٠ .

(٩) انظر الواحدي ٥٨٩ وعزام ٤٠٨ .

## من خلاص الفرد الى خلاص الجماعة

تمة المنشور على الصفحة - ١٦ -

قصاده ومنتجمو غيثه وفي بالذم رحب الصدر كبير القلب كفيره من الطائيين ، ولكنه ايضا المعني نافذ البصيرة بعيد الغور جيد الرأي ، كاتب بارع لا تخبو نار حرب يوجهها بقلمه الذي بز الحسام في حذته ، فذباب الحسام انجى منه ضريبة .

بفيت قصيدة (١٤) مدح اخرى قالها في هذه الفترة ، في احد امراء حمص . وتذكر المصادر ونسخ الديوان انه لم ينشدها احدا . ولا تعيننا المصادر التاريخية على استنتاج اسم الامير الذي قيلت فيه . ولنا في ذلك اجتهادات فد تخطىء وقد تصيب . اولها ان تكون في ابي العباس احمد بن كيفلغ ، وكان احد ممدوحيه في هذه الفترة كما سيبيين لنا فيما بعد ، قالها فيه عند التحاقه بابن طفج في حلب وانفاقه معه ومحالفته اياه ، حوالي ذلك التاريخ (١٥) ، فتكون « عودة الدولة انقراء ثابتة » ، اشارة الى انتصار ابن طفج على بشرى الخادم ، وتكون القصيدة بهذا المعنى احد الحبال التي مدها ابو الطيب مع الاخشيديين ، او على الاقل تحية ومجاملة للامير احمد بن كيفلغ الذي سيضطر ابو الطيب الى مدح حبال اخرى معه فيما بعد . او تكون في طريف بن عبدالله السيكري الخادم ، غلام مؤنس المظفر ، الذي ولاه سيده حلبا ، سنة ٣١٩ ، وبقي فيها حتى سنة ٣٢١ . وكان على ما يذكر ابن العديم - طريفا شهما شجاعا ، وحاصر بني الفصيص في حصونهم باللاذقية وغيرهما فحاربوه حربا شديدا . فاذا سلم لنا هذا التقدير ، تكون الاشارة الى بني بحر ، وهم بطن من زهير بن جناب الكلبيين ، وبني ثعلبة الطائيين اشارة الى بعض القبائل التي ساندت بني الفصيص اتنوخيين في حربهم مع طريف . وكتمان ابي الطيب قصيدته هذه ، قد يفسر بخشيته من الوقوع في الحرج او ايفار صدور بعض اطراف النزاع عليه وخاصة ان طريفا لم يلبث ان غادر شمالي الشام وعاد الى بغداد ، واشترك في افساد مؤامرة سيده مؤنس المظفر ، وبليق وابنه علي على الفاهر ، وقبض بنفسه على مؤنس وسلمه للخليفة .

هذه هي اهم القصائد التي قالها ابو الطيب في المدح قبيل سجنه . وهناك في المقطعات التي قيلت في الفترة نفسها ما نظم في بعض اصدقائه ، كابي القاسم عبيدالله بن خراسان الطرابلسي ، ويبدو من مقطوعتين اخوانيتين (١٦) شكره فيها على بعض هداياه ان بينهما ودا قديما ، وعهودا من الصداقة ثابتة ، وله فيه قصيدة قالها بعد خروجه من السجن . وقد عثرنا في الوافي بالوفيات (١٧) على شاعر طرابلسي اسمه احمد بن الحسين بن عبدالله بن خراسان بن حيدر الطرابلسي . فهل

يتخلص الى مدح الامير سعيد فيذكر طيب نجاره ، ويشير الى امجاد جده وابيه ، ويمدحه بالسخاء واشجاعة ، ويشير الى ان قبيلته الحبا اياه تكتحل بترايه ، ويذكر ابادته تميم وقبيلة جناب - وهي بطن من وارم بن مالك ابن تميم - خاصة . ثم يختتم بوصف رحلته الشاقة اليه ، ويلتمس رفته .

بعد ذلك ، في ترتيب ابن وكيع ، تأتي داليتها المشهورة التي مطلعها : (١٢)

كم قتيل كما قتلت شهيد لبياض الطلى وورد الخدود  
ومن قصائد المدح التي قالها ابو الطيب في منبج ايضا ، قصائد اربع قاتها في مدح بعض رؤساء الطائيين الذين كان يسعى الى ان يوثق صلته بهم ليكونوا عوناً له على تحقيق مأربه . منها ثلاث قصائد قال احداها في ابي شجاع بن محمد .

في القصيدة الاولى (١٣) ، وبعد مقدمة غزلية بدوية النفحات والصور ، يتطرق الشاعر الى الحديث عن الموت الذي لا يفلت احد من قبضته مهما يكن عزيز الجانب ، وهو بكاء للنفس حزين يذكرنا بكائيات عدي ابن زيد ، ثم يتحدث عن وقار الشيب ، ونزق الشيبية ، ويكي شبايه . وينتقل بعد ذلك الى قبيلة الممدوح فيصفها بالعزة والكرم ، وحسن السمعة ، ثم ينقض على ممدوحه بايات خمسة يبالغ فيها في مدحه ، حتى يتجاوز حدود المعقول ، ويستمطر سحاب جوده ، على ان يكون ثرا يخشى معه من الفرق .

وفي قصيدته (١٤) في مدح ابنه شجاع ، لا يخرج عن هذه المعاني ، ما دامت الغاية واحدة . حتى حبيته التي ينسب بها تفدو عدوية ، من عدي بن سنبس ، ولا بد من مدح قبيلته ، طي ، ووصفها بالعزة والمنعة ، والتنويه برهطه من ثعل بن عمرو وجلهمه ، ثم يمدحه بالجد والاريجية ، كما مدح اياه ، ولكن الممدوح شجاع محارب ، فلا بد من ذكر شجاعته وخاصة في قتاله الروم ، وذكر حساده وعداته الذين قرحوا لقبته عن منبج ، وما اشد حساسية ابي الطيب للحساد والعداة الذين يطاردونهم في كل مكان .

ومدح ابو الطيب طائيا آخر من جديدة ، هو علي ابن احمد الخراساني ، ويبدو انه كان كاتباً اديباً ، فلا بد ان يكون مدحه مختلفاً عن مدح اقاربه . فهو كريم كثر

(١٤) انظر الواحدي ٦١ وعزام ٣٦ .

(١٥) انظر ابن العديم ٩٧ .

(١٦) انظر الواحدي ٣٥ وعزام ١٦ .

(١٧) الوافي بالوفيات للصفدي ٦ : ٣٥ .

(١٢) انظر الواحدي ٢٦ وعزام ١٣ .

(١٣) انظر الواحدي ٢٨ وعزام ٢٠ .

(١٤) انظر الواحدي ٦٦ و٧٢ وعزام ٢٩ ، ٤٠ .

مقدمتها الغزلية وبيت التخلص ، وبقي من الثانية حديثه عن نفسه .

في هذه القصيدة يعبر عن احاطة الاعداء به ، فهو في أرض نحلة كالمسيح بين اليهود ، وهو يشعر بالقرب ، وكأنه صالح في ثمود . ويصف حالة اليأس والتكد التي غدا فيها ، وضيق صدره بما لقي من متاعب في طلب الرزق ، وسوء الطالع الذي لازمه . ثم يخاطب نفسه ويحفزها على الثورة التي تحقق للانسان العزة والكرامة وتشفي على صدره . ولا بد لخلاص الفتى المظلوم الحاقد من هذه الثورة التي سيكسب بها لنفسه امجادا ومفاخر تغنيه عن امجاد قومه ومفاخر اجداده . فلا بد من ان الناس في ذلك المجتمع القبلي الذي يهمل الاصل والنسب كانوا يسألونه دوما ان ينتسب فيأبى ذلك ، لان ثمة مانعا يحول بينه وبين البوح بهذا السر ، الذي اشارت عليه جدته العاقلة الصالحة ، وربما ابوه كذلك ، وبعض من يعينهم هذا الكتمان ، ان يطويه في قرارة نفسه . ولذا نراه ينفجر في اربعة ابيات يحسم بها هذه القضية التي كانت تؤرقه وتثير التساؤل في نفوس الناس من حوله ، حين يرون انفسهم مواجحين بعقري متمرد ، يخاطبهم من عل وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره . فهو ، وان كان قومه قخر كل من نطق الضاد ، وعوذ الجاني وغوث الطريد ، ليس بحاجة الى ان يتقوى بانتسابه اليهم في نضاله لتحقيق اماله ، فهم شرفوا به ، ولم يشرف هو بهم ، وهو يرى نفسه في الذروة ، لا احد فوقه ، وهو ترب الندى ، ورب القوافي وسمام العدى وغيظ الحسود . وهذا كله يجعله غريبا في قومه ، كما كان صالح في ثمود .

ونراه في اللامية (٢٢) يدور حول بعض هذه المعاني ولكنه يتجاوز التعميم الى شيء من التخصيص ، فهناك طائفة من خساس الناس ، او خشاشهم ، رموه بشيء ، لفقوا له تهمة ، او قدحوا فيه ، وهو ينذرهم بان غايته هي نفوسهم ووسيلته اليها ليست سوى السيوف ، وفي هذه القصيدة يردد الحديث عن عزة نفسه ، على الرغم من فقره ، وعلو منزلته ، وعظم همته التي تحقر كل مطلب وتقرب كل بعيد ، ويشير الى انه كان راسخا ركيئا كالطود الى ان مسه الضر ولحقه الضيم ، قاتر ان يخوض رحلة الشقاء على ما فيها من عناء شديد بغية تحقيق ما يتطلع اليه من مجد وعلو ، وحفاظا على كرامته ان يمسها ضيم الضائمين . .

والامية (٢٣) هي الحركة الثالثة في ملحمة الحقد والتمرد التي انشدها ابو الطيب قبيل اقدامه على التمرد .

ويبدو ان بعض اصدقائه المعجبين بمواهبه الراقين تمرده في شعره لاموه على انه يكثر الحديث ويقل الفعل

يكون عبدالله هذا جده . واذا كان من بني حيدرة ، وهي اسرة كانت معروفة في طرابلس تولسنى بعض رجالها القضاء (١٨) قلم هجا ابو الطيب بعض افرادها (١٩) ومدح البعض الاخر .

وفيها ايضا قطعة قالها على لسان احد اصدقائه التنوخيين ، ولعلها بقية مقطعات بل قصائد قيلت لهم وفيهم في هذه الفترة ثم اسقطت من الديوان لسبب من الاسباب ، لان ابا الطيب سيعود الى التنوخيين بعد خروجه من السجن - اذا اخذنا بترتيب ابن وكيع - على انه صديق قديم جاء ليصل من حبال الود ما انقطع . وفيها اخوانيات اخرى وحديث عن الشطرنج ، وادانة للفقر الذي كان يمزق ابي الطيب آنذاك .

ان قصائد المديح ومقطوعاته في هذه الفترة ، لا تخرج عن كونها وسيلة لاستدراار المال والعون ، ولد حبال الصداقة ، او توثيق عراها وخاصة في الاوساط اليمينية التي كان ينتمي اليها ابو الطيب ، فهو جمعني ابا همداني اما .

يبقى من قصائد هذه الفترة ثلاث ، هي فيما نرى ادقها تصويرا واروعها تعبيرا عما كان يعتلج في نفس الشاعر المقهور البائس من حقد على الذين هضموه حقه وغضوا من مكانته ، ما كان يتطلع اليه من مطامح لو تحقق بعضها بعون من بعض هؤلاء المدوحين ، وبتأييد من القبائل اليمينية لشفى غليله وحقق اماله .

اولاها داليتها (٢٠) المشهورة التي وضعها ابن وكيع وغيره ممن عنوا بترتيب ديوانه في قصائد هذه الفترة . وينفرد ابن العديم (٢١) بالزعم بانه قالها في مدح ابي العباس احمد بن كيفلغ . وقد كان ابو العباس ، كما يذكر ابن العديم ، اديبا شاعرا جوادا . وكان له قسي أحداث هذه الفترة دور بارز ثم يفت ابا الطيب التنبه اليه وتتبعه . فقد ولي مصر وحلب مرات عدة ، وكانت ولايته الثانية على حلب سنة ٣١٧ - ٣١٨ . وحين كسر ابن طفج جيش بشرى الخادم الذي ولاه القاهر دمشق وحلب بعد القبض على مؤسس سنة ٣٢١ ، وقتل هذا الوالي ، وصل ابن كيفلغ الى حلب واتفق مع ابن طفج وحالفه . فهل مدحه ابو الطيب في تلك الايام ؟ ومهما يكن من امر فالقصيدة فيها بيت تخلص اشار فيه الشاعر الى سري لباسه خشن الصوف ثم وقف عند هذا ، وتجاوز المدح الى الحديث عن مطامحه وآلامه . ولعل ابا الطيب اسقط هذا المقطع المدحي ، حين نقح شعره في حلب ، لان دواعي المديح ذهبت ، والمدح لم يعد ذا تعلق بشئون الفترة التي اصبح فيها .

او لعل القصيدة مركبة من قصيدتين بقي من الاولى

(١٩) انظر عزام ٥٢٢ ، ٥٢٣ .

(١٨) ابن العديم ١ : ١٩٩ .

(٢٠) انظر الواحدي ٢٦ وعزام ١٣ .

(٢١) ابن العديم ٩٧ .

(٢٢) الواحدي ٤٩ و٥٠ : ٢٧ .

(٢٣) الواحدي ٥٢ وعزام ٢٨ .

ويتعلل بالامال التي لن تتحقق ويرضى بالافلال حتى غدا هذا الرضى شيمة له ملازمة . فينبغي للدفاع عن نفسه وينفي تهمة التعلل بالامال والقناعة بالاقلال . ويبين لهم انه مدرك تمام الإدراك ان نواب الدهر لن تدعه حتى يسد طريقها اليه بما يتقوى به من مال وأنصار . ويدهاه صفر من المال ، واللوم في ذلك لا يقع عليه بل على هذا الزمن الذي اهلك ماله وسلبه الفنى . وهو يسمع باجود ولا يحصل الا على الوعود ، فاصحاب الاموال لم يستكثروا من المروءة كما استكثروا من المال . والانصار اين يجدهم ؟ فهو يرى اناسا على صورة البشر وعند الاختيار يجدهم كالنعم لا عقول لهم . ولذا فليس له بعد ان نفذ صبره الا ان يورد نفسه المهالك ، ويخوض غمرات الحرب ، ومعه كل ماضي العزيمة ، طالما انتظر تمرده على السلطان وقضائه على دولة العبيد الخدم من الممالك الاتراك ومن هم على شاكلتهم . وهو يحضض نفسه على القتال ، وورود حياض الردى متركة الخوف لضعاف الرجال .

فمن اليسير ان يتهم بانه خارجي ، اي متمرد على السلطان ، وقد كثر الخارجيون أو الخوارج في ذلك العصر . ومنهم ابن مطر ، ومحمد بن صالح والاجر بن مطرة الثعلبي . وقد يتهم بالقرمطية وهي تهمة تنطوي على تهم ولها ما يبررها في تاريخ ابي الطيب ، وابو طاهر القرمطي دوح العراق ولم يتجاوز السادسة عشرة من عمره . وقد يحاكم بتهمة ادعاء الربوبية وقد ادعاها من قبله محمد بن بشر والحلاج . وقد يتهم بادعاء النبوة ، كما اتهم ، وفي كل سنة كان يظهر نبي مزعوم . وقد يتهم بانه ادعى النسب العلوي ، حسينيا او حنينا ، وما اكثر من ادعوا هذا النسب في عصره وفي كل عصر .

لقد اختاروا لابي الطيب تهمتين : النبوة والعلوية وانا اميل الى تبرئته منهما . فنبوته عندي نبوة فطنة والمعية وكشف للمستقبل على ضوء الحاضر . وادعاؤه النسب العلوي ليس تهمة تؤدي به الى السجن الا اذا اقترنت بالثورة والتطلع الى الاستيلاء على الحكم . وقد رد شيخنا محمود محمد شاكر على هاتين التهمتين وعلسى غيرهما بما لا يحتاج الى فضل بيان .

الامر عندنا ، في هذا كله ، ان ابا الطيب عبر عن تمرده في شعره ، وكان له من عبقرية الشعرية والمعينة ونظرته النافذة الى حقائق الامور ما يخشى معه ان يكون خطرا على المتنازعين على الحكم في ديار الشام ، او الطامعين في القضاء على خلافة العباسيين ، من اتراك ودعاة ، وانه استطاع بتبديه وتعاربه وقهقهة لنفسية الاعراب ، ان يثير النفوس ويحرك الضغائن ويحدث فتنة ، لا تعرف سر حظوتها بالاقناع والانتشار ، وان خصومه الذين حرصوا على كتمان سره ، وحذروه من اقشاء هذا السر وما يتصل به من شعائر ، تعاونوا مع السلطان عليه ، فالقوه في غيابة السجن مرة او مرتين . لم يكن ابو الطيب في نظرنا اكثر من نائر فتى ، ادرك هموم الاخرين وربطها بهم الشخصية ، واتيح له من الذكاء واللسن وقوة الحججة وسطوع البرهان ما يمكنه من اقناع جموع من المتذمرين اختلفت اسباب تذرهم والتقت في رغبتهم جميعا في التمرد والثورة على الاوضاع القائمة .

### في السجن

في تلك الايام السود ، ايام السجن ، ادلى ابو الطيب بشهادته وصرح او المح الى اوضاع كان ينكرها والى

ويتعلل بالامال التي لن تتحقق ويرضى بالافلال حتى غدا هذا الرضى شيمة له ملازمة . فينبغي للدفاع عن نفسه وينفي تهمة التعلل بالامال والقناعة بالاقلال . ويبين لهم انه مدرك تمام الإدراك ان نواب الدهر لن تدعه حتى يسد طريقها اليه بما يتقوى به من مال وأنصار . ويدهاه صفر من المال ، واللوم في ذلك لا يقع عليه بل على هذا الزمن الذي اهلك ماله وسلبه الفنى . وهو يسمع باجود ولا يحصل الا على الوعود ، فاصحاب الاموال لم يستكثروا من المروءة كما استكثروا من المال . والانصار اين يجدهم ؟ فهو يرى اناسا على صورة البشر وعند الاختيار يجدهم كالنعم لا عقول لهم . ولذا فليس له بعد ان نفذ صبره الا ان يورد نفسه المهالك ، ويخوض غمرات الحرب ، ومعه كل ماضي العزيمة ، طالما انتظر تمرده على السلطان وقضائه على دولة العبيد الخدم من الممالك الاتراك ومن هم على شاكلتهم . وهو يحضض نفسه على القتال ، وورود حياض الردى متركة الخوف لضعاف الرجال .

فالمقتدر اتى به الاتراك ثم خلعه واعدوه سنة ٣١٧ وفي سنة ٣٢٠ قتلوه ورفعوا راسه على خشبة وهم يكبرون ويلعنون وجردوه من سراويله وتركوه مكشوف العورة . والقاهر اتى به الاتراك وخلعه سنة ٣٢٢ ولما ينة السنة الثانية من خلافته ، وسملت عيناه واخذ يتسول في المساجد والطرقات . فأى هوان بعد هذا الهوان ، وهل يصلح امثال هؤلاء لتولي الملك . وهو اذا يتوعد حكام العصر ، من عرب وعجم فان اطاعوه واجابوا منع عنهم سيفه ، والا قتلهم وتجاوزهم الى غيرهم .

وقد صور ابو الطيب في هذه القصيدة ، وفي مقطوعته التي اجاب بها ابا سعيد المخيمري حين عدله في ترك لقاء الملوك ، وموقفه من حكام العصر ، وعزمه على القضاء عليهم لان في هذا حلا لمشكلته الخاصة وتحقيقا لامانيه ، ووضعنا لرجل الكفي وهو هو ، في المكان الذي هو جدير به . ولم يخرج ابو الطيب في قصائده التي قالها في هذه الفترة وفي العلاقات التي حاول ان يقيمها مع بعض القبائل والامراء ، عن نطاق التفكير في مشكلته الذاتية وحقه المهضوم وخلصه الفردي . ولم يكن رفضه للنظام السائد وشعوره بالانتماء ، الا جزءا من قضيته الخاصة التي يعمل من اجلها .

اما الشعور القومي العام ، والتفكير في تخلص الامة من اعدائها ، والعمل لرد الهيبة للسلطان العربي فامور لم تكن تخطر له ببال . وكذا صب صورة للبطل على غرار ذاته ، وربطها بما يتصف به هو من عبقرية الشعر وصحة العزيمة واقتحام المخاطر ، ومن معاني الفتوة والمروءة التي كان يجد في نفسه الصورة المثلى لها . بعد هذه الصرخات المدوية التي تستنكرها آذان

خصوم كادوا له ومكروا به وحفروا له هوة لم يملك الا ان يقع فيها .

حفظت لنا المصادر عن فترة اسجن قصيدتين احدهما في مدح ابن كيبلغ (٢٤) والثانية موجهة الى امير يستشفعه في امره . (٢٥) ثم مقطوعة في التوسل الى الامير وبيتين في هجاء ابن علي الهاشمي الذي تولى القبض عليه ، ومقطوعتين احدهما في مدح ابي دلف والثانية في مداعبته ، وهي مداعبة اقرب الى الهجاء . ثم مقطعان في الرد على الضرب الصبي حين هجاه (٢٦) .

ذكر عزام في زيادته ان ابا الطيب قال القصيدة الاولى في مدح ابن كيبلغ وهو احمد بن ابراهيم ، ابو العباس ، كما جاء في البيت السادس ، وهو الذي مدحه بقصيدته الدالية (٢٧) ، كما ذكرنا سابقا نقلا عن ابن العديم .

اما القصيدة الثانية الدالية ، فازعم انه قالها في الاخشيذ محمد بن طفيح لا في اسحاق بن كيبلغ كما ذكر بلاشير . اذ ان قي القصيدة آياتا تشي بانه قالها في امير قوي مملك ، لا في وال بمستوى اسحاق بن كيبلغ الذي جرؤ ابو الطيب فيما بعد على تناوله باقذع الهجاء . فهو يقول فيها :

رمى حلبا بنواصي الخيول

وسمر يرقن دما في الصعيد  
ويبيض سافرة ما يقمن لا في الرقاب ولا في القمود  
يقدن انفناء غداة اللقاء

الى كل جيش كثير العديد  
فمن كالامير ابن بنت الامير ام من كآبائه والجدود  
سعوا للمعالي وهم صبية  
وسادوا وجادوا وهم في المهود  
امالك رقي ومن شأنه  
هبات اللجين وعتق العبيد

ومثل هذا الوصف يبدو واسعا قضاضا على اسحاق بن كيبلغ او حتى على اخيه احمد . وهذا الجيش الجرار الذي رمى به الامير حلب ، لا يمكن ان يكون جيش ابن كيبلغ او من هم اعظم منه من الولاة بل لا بد من ان يكون جيش خليفة او امير ابن بنت امير ، ورث المجد كانوا عن كابر ، وسعى ابائهم واجدادهم للمعالي وهم صبية .

(٢٤) عزام ٥٢٧ .

(٢٥) الواحدي ٨٠ وعزام ٤٦ .

(٢٦) يزعم بلاشير ان مقطوعتين منها كانتا بينه وبين الشاعر الصنوبري . وهو يعتمد على خبر اورده البغدادي في خزانة الادب ١ : ٢٨٢ . والبغدادي يذكر الشاعر الصبي وقد كان الصنوبري ضيما ، ولكن ليس من الضروري ان يكون هو والاصح انهما للضرب الصبي .

(٢٧) الواحدي ٢٦ وعزام ١٣ .

هذا فضلا عن ان الشاعر يشير في القصيدة الى هزيمة الخرشني . والخرشني هذا هو بدر الخرشني ( بدر بن عمار ممدوح ابي الطيب فيما بعد ) . وكان الخليفة الراضي قد اسند اليه رئاسة الشرطة فوقف في وجه مؤامرات الامراء الاتراك وعلماهم . واخفق في القضاء على احدي فتنهم فعزله الخليفة ، وارسله الى حلب واليا خوفا من انتقام الفلمان الحجرية . وكانت في يد طريف بن عبدالله السبكري ، غلام مؤنس المظفر ، الذي ارتفع مقامه في نظر الخلافة حين قبض على سيده سنة ٣٢١ وسلمه للخليفة القاهر . فتوجه بدر الى حلب ، فدافعه طريف عنها ، ولكنه انهزم امامه . وتم يستقر بدر بها الا قليلا اذ استدعي الى العاصمة ، او طرده منها طريف بمساعدة محمد بن طفيح الاخشيذ وقد اسقط ابو الطيب هذه القصيدة من ديوانه قبيل اتصاله ببدر الخرشني ، ابن عمار . اذ جاء في مقدمتها في طبعة عزام . . « وقد امتنع عن عمل الشعر بمصر . سألته جماعة من اهل الادب بها اثبات بعض ما كان اسقطه من شعره رغبة فيه ، فاجاب الى ذلك . فمما اثبت قوله في صباه وقد وشى به قوم الى السلطان . . »

اذن رفع ابو الطيب استرحامه وهو ملقى في السجن ، بتهمة لم تخرج من النية الى حيز الفعل . كما جاء في القصيدة ، الى الامير ابن طفيح والى خصمه بالامس وحليفه اليوم احمد ابن ابراهيم بن كيبلغ . ومن الطبيعي ان يرفع ابو الطيب استرحامه اليهما فالذي سجنه هو لؤلؤ امير حمص من قبل الاخشيذيين . وينبغي لنا ان نلتفت في القصيدة الدالية الى عبارة « محك اليهود » فلها عند ابي الطيب معنى دقيق .

ونذكر هنا ، بالمناسبة ، ان الذي وكل اليه امر تقيده هو ابن علي الهاشمي . وقد هجاه ابو الطيب ببيتين عرض فيهما بنسبه الدعي (٢٨) . .

يبقى من فترة السجن مقطوعتان في سجانته ابي دلف بن كنداج (٢٩) ، ولعله ينتسب الى القائد محمد بن اسحق بن كنداج ، او كنداجيق ، احد القواد البارزين في اواخر القرن الثالث واول القرن الرابع .

في المقطوعة الاولى ، ولعلها جزء من قصيدة قبلت قبيل دخول ابي الطيب السجن ثم اسقط عدد من آياتها - يحاول الشاعر ان يوثق او اصر الود مع ابو دلف هدية وهو المقطوعة الثانية قبلت وقد اهدى اليه ابو دلف هدية وهو معتقل بحمص ، وكان بلفه عنه قبل ذلك انه ثلثه عند السلطان الذي اعتقله . وفيها تجريح لابي دلف ، ويبدو انها كانت خاتمة علاقة كان ابو الطيب يرجو لها ان تدوم .

خرج ابو الطيب من السجن بعد ان حشر قرابة

(٢٨) الواحدي ٨٧٦ .

(٢٩) انظر الواحدي ٧٩ ، وعزام ٤٥ و ٥٣٠ .

السجن مع انه حاول ان يلتزم ترتيبه الواحدي فسي دراسته . ويقدمها الواحدي على انها قيلت ردا على معاذ حين عدله هذا على تقدمه في الحرب ويتضح من تأمل معاني القصيدة انها قيلت بعد حادثة التمرد ، وان ابا الطيب يجيب بها لائمه هذا ، ولائيمه والشامتين به جميعا ، فيقول له ولهم ان مكانه في الحرب ما زال خفيا عليهم ، وان مطلبه الجسيم جدير بان يخاطر فيه بالهيج الجسم ، مرة تلو اخرى ، وان النكبات ، ومنها نكبة السجن لن تأخذ ممن كان مثله ، وان الزمان لم يبلغ مراده منه ومن تغيير حاله وتوهين امره ولا انقاد هو له انقياد من يسلمه زمامه ، وانه حين تمتلىء عيون الخيل منه ، عند لقاء الجمعين ، فالويل لخصومه .

بعدها تأتي مقطوعة يخاطب فيها قوما نالوا منه في مجالسهم ، ولعلمهم شتموا به لاخفاق تمردهم ، وطعنوا في نسبه ، الذي كان حجة لاولي الكيد من الكائدين له ، وهو يصف نفسه بانه عين المسود الجحجاح ، الذي حاول اعداؤه الكلاب ان يهجنوه ، اي يطعنوا في نسبه ، وهل يكون الهجين الا هجينا والصريح الا صريحا وان انتسب الى غير نسبه (٣٢) .

بعد ذلك تأتي مقطوعات يستفاد منها انها قيلت في مجالس بعض الكلابيين ، ولعله حاول الاتصال بهم ثانية بعد اخفاق تديره ، ولكن المقطوعات لا تخرج عما يقال في مجالس المباشطة والانس ، وليس في شعر هذه الفترة ما يشير الى انه مدح احدا منهم . وقد تكون هذه المقطوعات ، على اثرهم من اجماع المصادر على وضعها في شعر ما بعد السجن ، مما ينتمي الى جولته الاولى في شمالي بلاد الشام حين كانت صلاته بالكلابيين اوثق . او ربما حذف ابو الطيب قصائده التي قالها في مدحهم في هذه الفترة ، في وقت لاحق ، ليطمس اخبار ماض لم يعد يرضى عنه ، كما فعل بقصيدته الدالية التي قالها في السجن . تلك المقطوعات الثلاث التي قالها ، فيما يبدو ، في مجالس بعض الكلابيين بوادي بطنان قرب حلب ، تدور جميعا حول موقفه من الخمر ، وهو الموقف الاخلاقي الصارم الذي التزمه في حياته ، ترفعا عن مبادئ العصر التي كان يسمع بها او يراها في مجالس من خالطهم من امراء زمانه . وهو في مقطوعاته الخمرية هذه ، يضع ملذاته الشخصية ، وهي معاطاة الباترات والصفائح والعوالي ، ومنادمة القنا ، واقحام الخميس في الخميس ، مقابل تلك اللذات التي لا تروقه ولا تقع عنده موقع الرغبة والاستحسان . ولكنه قد يشربها ، غير آثم ، ليحل صديقا له حلف عليه بالطلاق ان يشربها (٣٣) .

اول قصيدة من قصائد المدح في هذه الفترة قالها

(٣٢) الواحدي ٨٥ وعزام ٤٩ .

(٣٣) انظر هذه المقطوعات في الواحدي ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ وعزام

٥٠ - ٥١ - ٥٢ .

عامين مع حثالة البشر من اللصوص والمجرمين ، غير نادم على ما حدث ، اذ لم تكن تجربته في التمرد ، نزوة عابرة . بل كانت هدف خطة اخذ يرسمها لنفسه منذ كان في العراق ، ليسترد حقه المهضوم ، ولينتقم من خصومه . ولعله ادرك ، فيما بعد ، ان مثل هذه الثورة الفردية لم يكن من اليسير ان تنجح ، فالاعداد لها لم يكن كافيا ، والقبائل التي اعتمد عليها ، من كلب وكراب وعدي ، في السماوة وحمص ، خذلته وفرت امام جنود لؤلؤ امير حمص للاخشيديين . وان وجود الاخشيديين في تلك الديار ومطامعهم في الاستيلاء على الحكم ، ودولتهم ما تزال في فتاتها وقوتها ، لا بد من ان يكون عقبة في سبيل تحقيق احلامه في السلطان . فضلا عن ان القوى الاخرى ، كالامراء الاتراك والحمدانيين ، وخصومه الذين يكيدون له ، لم يكن يرضيهم ان يبلغ هذا التمرد غايته .

على ان ابا الطيب لم يخرج من السجن مهزوما ولم يكن السجن وما لقي فيه من عذاب كاد يورده موارد التلف ، مما يصرفه عن تحقيق هدفه ، وعن السعي لاقتناص الحظ الذي طلبه لنفسه ولجدته . ولكن لا بد له من تقييم الموقف تقييما جديدا ، كما فعل سابقا حين قرر مغادرة العراق الى بلاد الشام . ولا بد من دراسة اوضاع القوى المتصارعة من جديد ، بحيث يكون الاقتراب منها هذه المرة اكثر اسعافا على النجاح ، ويكون التعامل معها من خلال الاثارة والتحريض حين يكون الامر متعلقا بالقبائل ، ومن خلال التخلي عن النفمة الذاتية العنيفة ، والاختفاء وراء المدح واعتباره ، حين يكون عربيا ، البطل الذي ستحقق من خلاله احلامه - وهذا ما سيفعله مع بدر بن عمار ، ممثل قوة ابن رائق ، ومع سيف الدولة ممثل قوة الحمدانيين . وان يكون الاتصال بغير العرب ، كالاخشيديين ، توثيقا لعلاقة قد تثمر يوما ما في بلاد الشام او في مصر .

### الشاميات الثانية :

تحفظ لنا المصادر عن هذه الفترة التي عقب خروج من السجن وسبقت اتصاله ببني رائق وممثلهم بدر بن عمار ، حوالي خمس وثلاثين قصيدة ومقطوعة . كثر فيها المديح وتنوعت اهدافه ، وقل الهجاء واتحدث عن النفس .

تأتي مقطوعة ابي الطيب التي خاطب بها صديقه ابا عبدالله معاذ بن اسماعيل (٣٠) ، الاولى بين القصائد والمقطوعات التي قالها عقب خروجه من السجن ، وفق الترتيب الذي اتبعه ابن وكيع والتزمناه في بحثنا هذا . وهي كذلك في ترتيب الواحدي ، وعزام . ولا ندري لم اختار بلاشير (٣١) ان يعتبرها مما قيل قبيل دخول

(٣٠) الواحدي ٧٤ وعزام ٤٩ .

(٣١) ابو الطيب المتنبي ١٢٥ .

قبل ابن رائق ، لانها تخلو من الاشارات التاريخية التي اعتاد ابو الطيب ان يضمنها شعره . وهي قصيدة مدح مما اعتاد ابو الطيب ان يقوله في مثل هذا المدوح . وفي آخر بيت منها يصف ابو الطيب قصيدته بأنها « جهد المقل » فاذا اولاه المدوح خيرا فهو ابن كريمة ، ولسانه فصيح . في القصيدة الثانية (٤١) يذكر ابو الطيب المعركة التي كانت سنة ٣٢٩ بين جيش كافور ، الاستاذ ، الذي كان مساور في مقدمته ، مع محمد يزداذ والي حلب ، والتي انتهت بكسر ابن يزداذ واسره ، وتعيين مساور واليا عليها . وهي قصيدة « حربية » من اولها الى آخرها . لا تبدأ بمقدمة غزلية كما بدأت القصيدة الاولى ، بل هجم فيها الشاعر على ذكر تلك الواقعة ، مفصلا ما حدث فيها من احداث وكأنه احد شهودها .

بهاتين القصيدتين مد ابو الطيب جسرا مـسع الاخشيدين ، سيخطو عليه اذا اخفق سعيه في الاتصال بجماعة ابن رائق . التي كانت في نظره ، وفيما رسمه لنفسه من مبادئ ، تمثل العنصر العربي الذي ينبغي الاعتماد عليه في استرداد الهبة للسلطان العربي .

بعد ذلك تأتي قصائده في التنوخين في اللاذقية . وهنا يخوض ابو الطيب عالم القبائل اليمنية ثانية ، بما فيه من مخاطر ، بعد ان خذلته كلب و كلاب (٤٢) . وتشير مقطوعة في الديوان ، قالها في الفترة الشامية الاولى (٤٣) ، الى انه كان على صلة ببعضهم . ولعله اسقط قصائد ومقطوعات قيلت في مدحهم ، تجنباً لما قد تثيره عليه من مشكلات حين يتصل بهم ثانية . او لعل هذا البعض الذي مدحه كان من فخذ في القبيلة معاد لمدوحه الجدد ، وهذا امر شائع في بطون القبائل وافخاذها وعشائرها ، يمليه الصراع الداخلي على زعامة القبيلة كما تليه الولاءات المختلفة للقبائل ، ومواقفها المتباينة من ذوي الحول والسلطان في المناطق التي تضرب فيها خيامها .

اولى قصائده في التنوخين ، كانت في رثاء محمد ابن اسحاق بن يوسف التنوخي (٤٤) . والقصيدة مكونة من ثلاثة مقاطع ، الاول قصيدة ابي الطيب التي اعددها لهذه المناسبة ، والثاني مقطع مرتجل قاله حين استزاده ذوو الفقيد والثالث مقطع اخر مرتجل قاله نزولاً عند رغبة ابناء عمهم ، آل ابراهيم بن يوسف ، ينفي عنهم تهمة الشماتة بموت ابن عمهم . وستكون مدائح ابي الطيب ، في فترة اتصاله هذا بالتنوخين موزعة بين آل

في صديقه ابي القاسم عبيدالله بن خراسان الطرابلسي ، الذي مدحه في الشاميات الاولى (٣٤) . وهو في هذه القصيدة يسير على نهجه القديم قيماً بالمقدمة الغزلية (١ - ٦) ثم يتحدث في البيت السابع عن نكبات الدهر التي رمته عن كتب ، ولكنها لم ترم منه رعيديدا ولا نكساء ، ثم ينتقل فجأة الى المديح . فيذكر ابناء عبيدالله ، ويجعل حسادهم فدى لهم ، كما تفدى جبهة العير حافر الفرس . ولعله يقصد بالحساد هنا ابناء عمومته من آل حيدرة الذين هجاهم ابو الطيب فيما بعد (٣٥) . وهو يعتز بصلة ابناء عبيدالله هؤلاء ولا يحذر ايا من الملوك ، وهم سنده ولا يخشى قرنا من الاقران وهم سيفه وترسه .

تلي ذلك قصيدة قالها في مدح محمد بن زريق الطرسوسي (٣٦) وهي قصيدة بادية التكلف كثيرة المبالغات ، وقد اصاب القاضي الجرجاني حين وصف بعض ابياتها بانها تجمع « بين البرد والفثانة وبين الثقل والوخامة ، فابعد الاستعارة وعوض اللفظ وعقد الكلام واساء الترتيب وبالغ في التكلف وزاد على التعمق حتى خرج الى السخف في بعض والى الاحالة في بعض » . وهو يلمح في البيت الثامن والعشرين الى انه نظمها اولاً في بعض اهل انطاكية ثم حجبها عنهم . ولعل المدوح ، وهو رجل حرب ، ادرك ذلك ، او انه استخف بالشاعر وشعره فكأفاه عليها بعشرة دراهم زادها الى عشرين بتحريض من جلسائه . ويبدو من مقطوعة الحقها بالقصيدة (٣٧) . ان المدوح تأخر في مكافأته ، او ان ابا الطيب استصغر المكافأة ، فهو يستحبه ويهـزز اريحيته .

تأتي بعد ذلك ثلاث قصائد قالها في مدح رجلين من بني بحتري ، اثنان (٣٨) منها في مدح ابي احمد عبيدالله بن يحيى بن الوليد البحتري ، والثالثة (٣٩) في مدح اخيه ابي عباد . وهما ابني بحتري بن عنود من طيء ، وارجح انهما حفيدا الشاعر البحتري . ويتضح من القصيدة الاولى ان المدوح كان قد وصل الشاعر بهبات عدة قبل ذلك . والقصائد الثلاث ، ومجموعها خمسون بيتا خصصت للمدح وطلب الرقد ، وفيها ابيات يشيد فيها ابو الطيب باليمنية ، وهي نسبة يعتز بها .

بعد ذلك تأتي قصيدتان في مدح ابي المظفر مساور ابن محمد الروحي احد قواد الاخشيدي . قال الاولى (٤٠) فيما يبدو ، قبل بروزه في حرب ابن يزداذ والي حلب من

(٣٤) الواحدي ٣٥ وعزام ١٦ .

(٣٥) انظر عزام ٥٢٢ ، ٥٣٣ .

(٣٦) الواحدي ٩٣ وعزام ٥٢ .

(٣٧) الواحدي ٩٨ وعزام ٥٥ .

(٣٨) الواحدي ٩٩ ، ١٠١ .

(٣٩) الواحدي ١٠٤ .

(٤٠) الواحدي ١٠٧ وعزام ٥٩ .

(٤١) الواحدي ١١٢ . وعزام ٦٣ .

(٤٢) يؤثر بلاشير ان يرتب قصائده في التنوخين في الدور

الاول من رحلته الشامية . انظر كتابه ص ٧٢ وما بعدها . ونحن

نلتزم ترتيب ابن وكيع وعزام وهو الاصح في نظرنا .

(٤٣) الواحدي ٤٨ وعزام ٢٦ .

(٤٤) الواحدي ١١٦ وعزام ٦٤ .

اسفاره، واشدهم عزيزة . وكأنه في فخره هذا يجعل نفسه ندا للممدوح ، عن تعمد ، حتى لا يزداد موقفه ضعفا امامه ، ولا سيما ان الحساد ما زالوا يحرضونه عليه ، ويزعمون انه هجاه ، وهو ينكر ذلك وينفي عن نفسه ، فالنخوة اليمينية تأبى له ذلك ، وقعال الممدوح وشجاعته في الحرب ، تجعله فوق مستوى الهجاء .

بعد هذه القصائد التي يبدو انها لم تشر في اقناع الممدوح ينصرف ابو الطيب الى ابن عمه علي بن ابراهيم ، الذي كان ، فيما يبدو ، يرتاح الى صحبته، ويمنحه خالص وده كما ذكر في آخر مقطع من مقاطع رثائته (٤٩) . وفي المقطوعتين الخمريتين (٥٠) اللتين ارتجلهما في مجلسه ما يؤكد لنا انبساطه اليه والفته مجلسه .

وهما شبيهتان بتلك المقطوعات التي قالها في مجالس اصدقائه الكلابيين آنفا ، وفي مجلس بدر بن عمار ، وابن طفح فيما بعد . والقصائد الثلاث التي قالها في مدحه هي من مطولاته . فقد تجاوزت كل منها الاربعين بيتا، بينما لم يتجاوز ما قاله في ابن عمه خمسة وسبعين بيتا جمعت بين المدح والعتاب والتفاخر بالنفس .

رتب ابن وكيع، وكذلك الواحدي وعزام ، القصائد الثلاث ترتيبا لا ترتضيه ، اذ جاءت عندهم الدالية اولا ثم العينية فاليمية . ومن قراءتي لهذه القصائد وتدبري معانيها تبين لي ان الترتيب الاصح هو تقديم العينية، ثم اردافها باليمية فالدالية .

في العينية (٥١) وهي الاولى في ترتيبنا ، سير ابو الطيب على نهجه في القصائد المدحية قييدا بمقدمة غزلية طويلة بدوية الطابع ، يتحدث فيها عن الاطلال ومتدبريها ، ويصف حبيبته بانها منعملة رداح ، عظيمة الرداف ترى لها اذا ماست اضطرابا وحركة، يضيق الدمج عن ذراعيها فتفصمه وتكسره لامتلأه بها، وعظم ساعديها غليظ باللحم حتى ليظن ضجيعها زندها شخصا مضاجعا له . وهي جميلة الوجه كأن نقابها غير رقيق يمنع البدر الطلوع، ويضيء بضوء البدر تحته، وهي منعة عزيزة الجانب ، يهيم بها كل من عرف بجمالها ولكنها لا تليق لاحد . وبمثل هذه المقدمة اعتاد ابو الطيب ان يدخل على ممدوحه اذا كانوا عربا تبعث صور البادية في نفوسهم الحنين وتثير فيها مكامن الشجن . بعد ذلك ينتقل الى مدح ممدوحه ، ويبالغ في هذا المدح اشد مبالغة ، ويديره على معاني المكر والدهاء والبأس والشجاعة والاريجية والسخاء ، ويذكر ان هباته الشرة انسته الحنين الى مراتع صباه والى والدته (جدته) . ويبدو من استقراء معاني القصيدة ، ومما احاط بابسي الطيب من ظروف في زيارته هذه اللاذقية ، ان بينه وبين

اسحاق وآل ابراهيم . ويبدو ان المقطع الثالث من القصيدة لم يكن كافيا لنفي الشماتة عن آل ابراهيم ، وان ابناء الفقيد وذويه واهل اللاذقية ما زالوا يلحقون الى هذه الشماتة ، وان احد الشعراء الذين رثا الفقيد اتهم آل ابراهيم بالشماتة . ولذا يطلب الى ابي الطيب ان يعود الى هذا الموضوع ليزيل اللبس وينفي عن ابناء العمومة اي اشارة للشماتة . فينظم قصيدة جديدة (٤٥) يدافع فيها عن مشاعرهم تجاه الفقيد ، ويلمح الى ان الذي سعى بالافساد بينهم يهودي . ولعل هذا اليهودي هو الذي رثى الفقيد والمخ الى تلك الشماتة ، فيكون بذلك احد هؤلاء اليهود الذين اثار ابو الطيب الى محكمهم او محلهم في دالية السجن .

بعد ذلك يتفرغ ابو الطيب حيننا الى مدح التنوخيين من الفريقين ، فيمدح الحسين ، اخا الفقيد بقصيدتين ويعاتبه في قصيدة ، ويمدح علي بن ابراهيم بثلاث قصائد ويداعبه في مقطوعتين خمريتين . وواضح من استقراء الشعر والوقائع انه كان اقرب الى آل ابراهيم .

في القصيدة الاولى التي مدح بها الحسين بن اسحاق التنوخي (٤٦) يعود ابو الطيب الى صورته الصحراوية وذكرياته البدوية المحببة الى نفسه ، والتي اعتاد ان يتخذها مدخلا لممدوحه من العرب ليخلق بينه وبينهم جوا من الالفة والخبرات المشتركة . وهو يفتقد عليه الصفات الحربية، ويمدحه بالسخاء والاريجية ، وهي الصفات التي يرددها الشاعر حين يقترب من ممدوحه العربي ، وخاصة اذا كان من ابناء البادية ، حتى ولو كان مقيما في الحاضرة .

ويبدو ان مبالغة ابي الطيب في مدح الحسين ، لم تجل ما كان في نفسه تجاهه . ويبدو ان موقفه قبي رثاء اخيه محمد ، ونيابته عن آل ابراهيم في نفي الشماتة عنهم . قد جعلته في نظر آل اسحاق طرفا في الخصومة . وزاد في ذلك ان احد الحاسدين سعى الى الاقصاد بين ابي الطيب وآل اسحاق - ولعله ذاك اليهودي - فزعم لمحمد ان ابا الطيب هجاه ، فنقم محمد ذلك عليه ، مما حمل ابا الطيب على ان يعاتبه (٤٧) ، وان ينفي الشبهة عن نفسه . وتأمل قوله في هذه القصيدة « اولاد الزناء » فقد تعني ايضا الادعياء .

ويعود ابو الطيب الى مدحه في قصيدة (٤٨) يتحدث فيها لأول مرة بعد خروجه من السجن حديثا متشجعا عن مواهبه وقدراته ، فهو انطق العرب ، واطعنهم ، واشجعهم واقواهم واكثرهم خبرة بالارض وناسها ، اطول

(٤٥) الواحدي ١٢٢ ، وعزام ٦٨ .

(٤٦) الواحدي ١٢٢ وعزام ٦٨ .

(٤٧) ذكر الواحدي خطأ ص ١٢٧ انها في محمد بن اسحاق .

ومحمد بن اسحاق هو المرثي في القصيدة الرائية ، وانظر عزام ٧٠ .

(٤٨) الواحدي ١٢٨ وعزام ٧١ .

(٤٩) انظر الواحدي ١٢٠ وعزام ٦٧ .

(٥٠) الواحدي ١٣٥ - ١٣٦ وعزام ٧٥ - ٧٦ .

(٥١) الواحدي ١٤٣ وعزام ٨١ .

المدوح ودا قديما ، لعل او اصره انعقدت في زيـارة سابقة .

في القصيدة الثانية (٥٢) ، حسب ترتيبنا ، يدخل ابو الطيب على ممدوحه مدخلا عجيبا ، فهو يقف على الطلل ، في بيت واحد ، ولكنه طلل من نوع جديد ، هو طلل الهمم التي درست وذهبت فعدت اولى بالبكاء من الدمن والاطلال . ولاول مرة بعد الخروج من السجن ، يعود الشاعر الى نعمته القديمة المحببة التي سكت عنها فيما قال من شعر في هذه الفترة . وي طرح امام الممدوح قضيته من زاوية جديدة ، فحين كان يذكر ملوك العرب والعجم في السابق كما فعل في بيته (٥٣) :

ميعاد كل رقيق الشفرتين غدا

ومن عصى من ملوك العرب والعجم

او في رده على ابي سعيد الخيمري وقد عدله في تركه لقاء الملوك انما كان يذكرهم في اطار قضيته الخاصة ، وحقه المنكور ، والخلاص الفردي الذي كان يتطلع الى تحقيقه بالقوة . اما هنا فانه قد وصل الى قرار ، استخلصه من واقع تجربته الخاصة ومعرفة باحوال العصر وخبرته بالحياة والناس . فقد تبين له نتيجة ذلك كله ان الناس بحكامهم وان العرب لا يفلحون اذا كان ملوكهم من الاعاجم الذين لا ادب عندهم ولا حسب ولا عهد ولا ذمم . وهو يأسى اشد الاسى لانه لم ير في اي ارض وطئها من ديار العرب في العراق والشام سوى امم يراعها عبد من الاتراك ، عبيد الخلفاء . ثم لا يترك الممدوح يسبغ ريقه بعد هذه المفاجأة المثيرة حتى يعرج على حساده ، وهو وان لامهم فما ينكر انه عقوبة لهم بتقدمه عليهم وظهور نقصانهم بزيادة فضله . وكيف لا يحسدونه وهو بين الرجال علم له على كل هامة قدم . وكيف لا يحسد من كان من الهيبة بحيث يهابه انيسه ومن الشجاعة بحيث تتقيه الابطال .

ثم ينتقل الى مدح الممدوح ، بعد ان صك مسميه بكل مثير من الافكار ، ولا يخرج في مدحه عن نطاق ما قاله وما سيقوله فيه . ثم يشير الى انه ترك بحيرة طيرية على ما فيها من جمال ، لا يشينه الا جريها على بلد تشينه الادعياء والقزم . وللادعياء في شعر ابي الطيب معنى دقيق محدود .

في القصيدة الاخيرة ، الدالية ، (٥٤) يبلغ ابو الطيب نهاية التدرج في كشفه عن غايته ، ويخرج من العام الى الخاص . ويبين عن هدفه في الابيات التسعة الاولى من القصيدة . فهو مؤرق يستطيل الليلة التي سيراه صباحا وقد خاض غمار الحرب . وهو يفكر جادا في

معاقرة المنايا وقود الخيل الى المعترك ، ليسفك برمحه دم الحواضر والبوادي . وهو يؤاخذ نفسه ويلومها لتخلفها وتوانها وتماديها في الانتظار ، والانشغال عن طلب المعالي ببيع الشعر في سوق الكساد . والايام تضي ، والشباب اذا ذهب لا يسترد وكل يوم يمر ليس الى استعادته من سبيل . واذا تنهى العمر في الازدياد ، فان هذا الازدياد يعقب نقصا .

وفجأة يتوقف الشاعر عن هذا البوح ، ولعله احس انه تجاوز حده او افشى سرا كان ينبغي له ان يكتمه . فينتقل الى المديح ويصف ممدوحه بكذابه ، بالسخاء والاريجية ، وبانه بطل مغوار ومسعر حرب . ويشير الى واقعة بعينها ، استطاع فيها ان يخضد شوكة اناس كان لهم في اللاذقية بغي وعدوان وطمع في الامارة ، فاسكن ثأرتهم ومزق عنهم ثوب الفتي والبسهم ثوب الرشاد فتخلوا عن طمعهم في الامارة مكرهين . ويرى بلاشير ان الشاعر يشير هنا الى قمع الممدوح فتنة بني الفصيص التنوخيين قبل ايام . ونحن وان كنا نتفق معه في هذا الاستنتاج فاننا نختلف معه في التوقيت . فتنة بنسي الفصيص ، على ما ذكر ابن العديم (٥٥) ، وقعت سنة ٣١٩ . وقد حاصرهم والي حلب طريف بن عبدالله السبكري ، غلام مؤنس المظفر في حصونهم باللاذقية وغيرها ، فحاربوه حربا شديدا حتى نفذ جميع ما كان عندهم من القوت والماء فنزلوا على الامان فرثي لهم واكرمهم ودخلوا معه حلب مكرمين معظمين . وقد رأينا من الخلافات التي وقعت بين ابناء العمومة من التنوخيين ما يفرينا بأن الممدوح اخذ جانب السلطة في تلك الفتنة وأيد طريفا في حملته على ابناء عمومته .

بعد تلك الابيات التي الملح فيها ابو الطيب الى واقعة ابن الفصيص ، يأخذ في تقديم النصيح للممدوح ، وتحذيره من ثورة تعقب هذا السكون فقد تكون الالسنه موالية بينما الافئدة مطوية على الحقد والعداء . ويحضه على الاخذ بالشددة ، والضرب بلا رحمة ، وكان ابا الطيب يقتر له تجربته مع القبائل ، ويمحضه اياها نصيحة مجرب مخلص .

ثم يشير الى اناس نزل بهم ومدحهم ، باشارة (٥٦) من الممدوح ، فسار عنهم بغير زاد . والبيت التالي قد يوحي بان هؤلاء المدوحين من قوم الممدوح ولعلمهم من بني عمه اسحاق . ويلمح الى انه سيفادته بعد غد ولكن قلبه لن يفادر فناءه ، وسيظل محبا له حيثما اتجهت ركابه وضيغه حيث كان من البلاد . ولكن ما بين ايدينا من قصائد واخبار يقطع بان هذه الصلة انبت حيث انتهت القصيدة ، وان ابا الحسين لم يكن بحيث وضعه الشاعر ، من التحسس القومي والجرأة على الانتفاض على الحكام .

(٥٥) ابن العديم ٩٧ .

(٥٦) رواية الواحدي « اشرت » بكسر الشين ، ورواية عزام وابن جني بفتحها وانا أؤثر الرواية الثانية .

(٥٢) الواحدي ١٤٨ وعزام ٨٤ .

(٥٣) الواحدي ٥٨ وعزام ٣٤ .

(٥٤) الواحدي ١٣٧ وعزام ٧٦ .

بعد هذا تنقطع صلة ابي الطيب بالتنوخيين، ويتجه بانظاره الى ممدوح جديد هو المغيث بن علي بن بشر العجلي ويبدو من نسبته انه من قبيلة عجل وهي بطن من عاملة من بني عدي اليمينية . وكانت نفس الشاعر قد امتلات بالمعاني الجديدة التي بدأت تتراكم فيها عقب خروجه من السجن والتي فثا بعضها امام صديقه التنوخي . ومدح حاميه الجديد بقصيدتين . يبدأ الاولى (٥٧) بمقدمة غزلية ، بدوية الصور والمعاني . ويتخلص الى المديح بيت معلق بمعنى العروبة ، التي بدأت تشغل خواطره وتحتل حيزا من تفكيره وشعره . ويبدو ان ممدوحه الجديد كان كاتباً بليغاً متوقداً للخاطر فضلاً عن انه شجاع سمح ، فهو يمدحه بهذه الصفات ، ويمدح قبيلته بالشجاعة والاقدام في الحروب ، ثم يعود الى مدحه ، ويفاجئه ، كما قاجاً التنوخي، بثورته ، ولكنها ثورة لم تطل اذ اوجزها في خمسة ابيات فجر فيها ما كان يغلي في نفسه من حمى الشكوى والتهديد والوعيد . ولعل تجربته في اللاذقية مع التنوخيين الذين بذل لهم من المودة اصفاها وكال لهم من المديح اروع لم تكن سارة ، وان اماله فيهم ذهبت ادراج الرياح . وهذه المعاني تتكرر على صورة اشد واعنف في القصيدة التالية (٥٨) ، التي ارتفعت فيها نغمة التهديد ، وامتزجت بمرارة شديدة . وفيها تتوضح اكثر فاكثر غصص الخيبة التي تجرعوها الشاعر في تجربته الحديثة . وثورته على صفاء معاصريه وحطتهم ، وندرة الاصدقاء الخالص ، بل انعدامهم ، وضعف ملوك العصر وانهافتهم على الشهوات وانقلاب الازواج والمفاهيم بحيث علا الطغام والسفلة وساس الرعية من هم اجدر بان تسوسهم الرعية . ويرثي مطامحه وآماله التي مضى اكثر عمره ويخشى ان تذهب بقيته قبل ان يحقق منها شيئاً .

بهذا قدم الشاعر قصيدته الثانية لممدوحه الجديد، وكأنه يخاطب فيه رجلاً يعطف على اماله ويتحسس مشاعره ، ويدرك معنى اهدافه التي عجز سابقوه من الممدوحين عن ادراكها . وقد وصفه الشاعر في قصيدته بأنه كاتب بارع ذكي الجنان ، جدل صعب المراس ، يروعك بوقاره ويستبيك بظرفه ، فضلاً عن شجاعته وسخائه .

بقيت من هذه الجولة خمس قصائد قالها في اشخاص لم نهتد الى معرفتهم، انتجاعاً للرزق وطلباً للرفد، لم يثر فيها ثورته عند التنوخي والعجلي ، بل كان هادئ النفس ، همه ان يحصل على العطاء . وقد ساقها جميعاً على نهج واحد ، مقدمة غزلية بدوية ، يتبعها التخلص الى المدح . والممدوحين جميعاً يتصفون بالسخاء ، ويختلفون باختلاف اعمالهم .

اولاها في القاضي المالكي ابي الفرج احمد بن

- (٥٧) الواحدي ١٥٤ وعزام ٨٨
- (٥٨) الواحدي ١٦٠ وعزام ٩٢

الحسين (٥٩) ، وهو يصفه بالعلم والفتنة ودقة المنطق والفقہ في القضاء والتدين والظرف فضلاً عن الجود . والثانية (٦٠) في علي بن منصور الحاجب ، وهو عنده كريم شجاع ، وقد كافاه عليها الممدوح بدينار واحد فسميت « الدينارية » (٦١) . والثالثة في ابي حفص عمر بن سليمان الشرايبي (٦٢) ، وقد قيل انه كان يومئذ يتولى الفداء بين الروم والعرب، ولم يقبل الواحدي هذه الصفة ، فقال في شرحه للبيت الثامن والعشرين : « قالوا انه كان يتولى فداء الاسارى . . وليس في هذا مدح وانما المعنى انه لا يقبل الفداء والا يغزو (٦٣) . وشرح الواحدي يتفق والوصاف التي نعت بها الشاعر ممدوحه قبي ابياته الاخرى . والرابعة (٦٤) في مدح عبدالواحد بن العباس بن ابي الاصع الكاتب ، وهو عنده حازم يقظ عالم فطن لبيب اروع وكاتب لبق وخطيب مصقع ، فضلاً عن انه سخي اريخي . والقصيدة الاخيرة (٦٥) ، في عبد الرحمن بن المبارك المعروف بابن شمس الانطاكي . وفي مقدمتها يقدح الشاعر على نفسه اوصاف الاعراب الضارين في الفلاة ، ويكرر نغمة او نغمتين من نغماته المحببة التي تنطوي على معنى اليأس والخبرة بالصحراء والضرب فيها ، وتعشق العز . ثم يضيف على ممدوحه بعض الصفات التي مدح بها غيره ، وينوه بظهارته من العيوب وزهده وبركته .

اعقبته جولة ابي الطيب الثانية في شمالي البلاد الشامية خيبة مريرة . وتحول الامل الذي حدها الى قصد التنوخيين الى ياس مريز وثورة عارمة تجلت في قصيدته اللتين قالهما في مدح المغيث العجلي . ولعله حين ثار امامه وانفجر بتلك الابيات العنيفة لم يرد منه اكثر من ان يستمع له وان يعينه بفكره وماله على الجولة الجديدة التي كان يعد لها . ثم فترت ثورته وانكفأ على نفسه يفكر في ما آلت اليه حاله وما ينبغي له ان يفعل بعد ان قوبل بالصمت والتنكر . وكانت قصائده الخمس الاخيرة من قبيل الشعر السهل الذي يواتيه متى شاء ، ولم يقلها وفي نفسه هدف ابعث من الفوز بالجائزة وتأييل المال الذي قادته خبرته بالحياة ومعرفته بالناس الى جعله صنواً للمجد . وقد اتاحت له ايامه الاخيرة في الشمال السوري ان يرسم خطته الجديدة التي قدرها وبنائها على اساس الاتصال باولي الامر من الولاة والامراء بعد ان اثبتت له تجاربه ان الاعتماد على القبائل امر لا جدوى منه . ووزن ابو الطيب القوى التي ما تزال بارزة في

- (٥٩) الواحدي ١٦٦ وعزام ٩٦
- (٦٠) الواحدي ١٧٢ وعزام ٩٩
- (٦١) البديعي : الصبح المنبي ٤٢٢
- (٦٢) الواحدي ١٧٧ وعزام ١٠٣
- (٦٣) الواحدي ١٨٠
- (٦٤) الواحدي ١٨٢ وعزام ١٠٧
- (٦٥) الواحدي ١٨٦ وعزام ١١١

وضمت اليه صور اثناء اقامة ابي الطيب في كنفه .  
مدح الشاعر بدرًا بخمس قصائد هي من أروع شعره  
في هذه الفترة . تتميز بينها الاسدية التي بلغ فيها  
قمة الابداع في تصوير حركات الاسد الذي جنده الممدوح  
وانفعالاته .

وتكشف القصيدة الاولى (٦٩) عن حقيقة مشاعر  
ابي انطيب تجاه هذا الحامي الجديد اهو حلم يتحقق له  
بعد طول انتظار ، ام زمان جديد يختلف عن زمانه  
السابق ، ام ان الخلق اعيد تشكيله وبعث من جديد على  
الصورة التي يرتجىها الشاعر . لقد اخذت المفاجأة  
بزمانه ، فاهمل المقدمة الغزلية ، ووصف الرحلة واسترسل  
في الحديث عن النفس ، وانطلق يتحدث عن حاميته  
الجديد ، في نهجة تجمع بين الحماسة والاعجاب ، ويركز  
على الصفات التي احبها فيه لدى اول لقاء ، وهي التواضع  
والسخاء والاقدام ، ولكن حظ الشجاعة منه هو الاعظم ،  
لانه مسعر حروب و بطل عربي . وستدور مدائح ابي  
الطيب فيما بعد على هذه المعاني ، يلونها بانوان ما يستجد  
من احداث خلال هذه العلاقة المريحة التي هدا فيها  
جيشان الشاعر ، واخذ يشعر بالطمأنينة والاستقرار في  
كنف امير عربي يختلف وضعا وشخصية عن عرفهم  
سابقا من امراء البدو ، وصفار الموظفين والحكام .

وفرغ ابي الطيب بهذا اللقاء يدفعه في مزلق المبالغة  
الخطرة ، فالممدوح آية المجد التي اراها الله عباده ، وهو  
وحيد بني آدم الذي يعز نظيره .

وبعد ان اطمانت نفس اشاعر اتى انسة الممدوح به ،  
وادرك من مكاشفته له في الجلسات الاخوانية انه ينطوي  
على مشاعر غير بعيدة عن مشاعره ، اخذ يتدرج في التلميح  
الى آماله ثم الى التحضيض والتحريض .

ففي القصيدة الثانية (٧٠) اخذ ابو الطيب بعنيد  
المقدمة الغزلية ، يتحدث عن فروسيته وشجاعته وقدرته  
على تحمل المكار ، وصبره على لآواء السفر ، واجتيازه  
المهام والقفار ، يقطعها وحيدا ، مجترنا بسيفه وخبرته .  
ويتحدث عن الصداقة ، التي انكرها في اخر جولاته في  
الشمال السوري ، بعد ان لمس من تجهم الاصدقاء  
وخيانتهم ما لمس ، فخرج من هذه التجربة المرة ، بان  
صديق المرء الحقيقي هو نفسه وان كثر التجميل  
والكلام (٧١) ، وقرر ان يهجر كل صديق ينكر جانبه ، ولن  
تعييه الحيل في فراقه ، وفي سعة الارض مضطرب ، وفي  
بلاد من اختها بدل . ولعل في بعض هذا الكلام اندارا  
للممدوح الذي كان حريصا على استبقاء الشاعر . ثم  
يستفيق بعد هذا البث الوجداني الى مدح صاحبه ، بمعان  
وصفات لا تخرج عما مدحه به سابقا ولكن الصور هنا

ميدان الصراع على الحكم ، ورأى ان افرها بالنسبة الى  
مشاعره القومية ، واقدرها على تحقيق اماله هي قوة  
الامراء العرب الذين يمثلهم محمد بن رائق ، امير الامراء  
الذي كان يقف في وجه الاخشيديين ، ويحاول ان  
يستخلص منهم بلاد الشام ومصر . وقد رأى ابو الطيب ان  
يتدرج في هذه الصلة وان يروز رجال ابن رائق قبل ان  
يتصل به اتصالا مباشرا . فبدأ تنفيذ خطته بالاتصال بابي  
علي هارون بن عبدالاوراجي الكاتب ، وكان في مسيرته  
الطويلة وتجواله في بلاد الشام الى صحبة اكتاب لانهم  
اقدر على فهمه من سواهم وخاصة اذا كانوا من الامراء  
والولاة . وكان اتصاله بالاوراجي يحمل فضلا عن ذلك  
معاني اخرى ، ويؤدي الى غايات متعددة . فالاوراجي ختن  
الحسين بن علي بن محمد ، الوزير المغربي الذي كان  
يدبر الامير محمد بن ياقوت الذي استطاع ان يتحكم في  
ادارة الدولة في بغداد ويستقل بها سنة ٣٢٢ . والاوراجي  
في الوقت نفسه من رجال ابن رائق (٦٦) ، فلا بد من ان  
تكون الصلة به جزيلة اتفع ، ولا بد لمن يريد ان يعبر  
الى ابن رائق ورجاله كيدر بن عمار ، من ان يقطع هذا  
الجسر .

نظم ابو الطيب وهو في فناء الاوراجي قصيدتين  
احدهما في مدحه (٦٧) والثانية طردية (٦٨) نظمها بطلب  
من ممدوحه . في القصيدة الاولى يقدم ابو الطيب لمدحه  
بمقدمة غزلية ينتقل منها الى الحديث عن نفسه ، فيذكر  
تبانته وشاعريته وشهرته وسعة صدره وبعد مطلبه . ثم  
يمدح الاوراجي ، ويدير مديحه في الاكثر على سخائنه  
وشجاعته ومنعته . وهو يبالغ في هذه الاوصاف ولا  
نعلم مدى حظها من التصديق لان الاخبار التي لدينا عن  
الممدوح قليلة .

اما الطردية التي نظمها في مجلس ابي علي ، فهي  
احدى طرديات ثلاث نظمها الشاعر . وقد بذل ابو الطيب  
كل ما لديه من جهد كي تخرج وفق ما اراده ممدوحه ،  
مع ان الشاعر لم يكن احد شهود وقائعها . ولعله اراد  
بذلك ان يعلي من شأنه في نظر هذا الممدوح السذي  
قصده وفي نفسه رجاء يخفيه .

ولا ندري ماذا فعل الاوراجي للشاعر ، هل مهد  
السبيل امامه للوصول الى بدر بن عمار . اخبار التاريخ  
لا تنبئنا بشيء ، ولكن ترتيب قصائده يشير الى انه قصد  
ابن عمار بعد فراقه الاوراجي مباشرة .

### في صحبة بدر بن عمار :

كان بدر بن عمار حين قصده ابو الطيب في حدود  
سنة ٣٢٩ واليا على طبرية من قبل الامير محمد بن رائق ،

(٦٩) الواحدي ٢٠٦ وعزام ١٢٣ .

(٧٠) الواحدي ٢١٠ وعزام ١٢٥ .

(٧١) في بيته :

خيلك انت لا من قلت خلي وان كثر التجميل والسلام

(٦٦) انظر نبذة عن اخباره في الواعظ والاعتبار للمقريزي

١٥٧:٢ .

(٦٧) الواحدي ١٩١ وعزام ١١٤ .

(٦٨) الواحدي ٢٠١ وعزام ١٢٠ .

تتلون بحادثة الموضع الذي اخطأ الطبيب في استعماله اثناء فصد الممدوح . وينهي قصيدته ، في سياق التدرج ، بيتت فيه تحريض وتحضيض ، فيصف بدرأ بأنه منقطع النظير ، وان الحكم لا يصلح الا لمثله (٧٢) .

وفي القصيدة الثالثة (٧٣) يعود بعد المقدمة الغزلية الى الحديث عن حزنه وقلقه والى تقلبه في البلاد والفتة الترحل ، وما ذلك عن طبع فيه ، ولكن ظروف حياته السابقة تضطره الى مثل هذا . فهو في الحقيقة رهن بتصاريف الاقدار ، تحطه في ارض وتزيله عنها دون محاولة منه او ازماح . مع انه يرى اشد الغم في السرور الذي يتيقن صاحبه انه مرتحل عنه لا محالة . ولعل في هذا تعبيراً عن انسه ببدر وحرصه على البقاء فني ظله ، اذا حرص هو من ناحيته على هذا البقاء ، ولم تعاوده المنفصات التي تحمله على تركه . ويتضح من ابيات القصيدة ان هذه المنفصات بدأت تظل بأنفها ، اذ اخذ المتشاعرون ، ومنهم ابن كروس الأعور ، ينالون منسه ويدسون له عند صديقه ، ويشبطون من عزيمته . وفي مدحه له ، وهو يجري على السياق المؤلف ، يذكر انه حسام لابن رائق المرجي ، حسام المتقي الذي يصلو به (٧٤) .

ويعود الشاعر منذ البيت التالي لهذا البيت الى تحضيض الممدوح وربطه بأماشي العرب . فهو ، فضلا عن كونه حساماً لابن رائق ، سنان في قناة بني معد وبني أسد . وهو بهذا اعز المتغالبين على الحكم كفا وسيفا ومقدرة وحمية وقوماً . وهو ابن العرب الطاعنين بكل لدن الضارين بكل غضب . وهو بما فيه من صفات البطولة والشجاعة والسخاء ، وبما يعتز به من نسبه العربي ، قد سبق السابقين فما يجاري . وهو صلح يميناً لشيء ، لما صلح الناس جميعاً شمالاً له ، وهو قد بلغ من الكمال الغاية التي ليس وراءها غاية لتكامل .

في القصيدة الرابعة ، وهي الاسدية (٧٥) ينتقل الشاعر من المقدمة الغزلية الى وصف مناجزة بدر للأسد . ويخوض في وصف هذه المبارزة التي يتلاقى فيها ندان ، ملك الغاب ، وملك الناس التارك الملك العزيز ذليلاً . ويأتي في وصف الاسد ، وفي وصف الممدوح باروع الصور الوصفية وادقها في شعره . ويدس الكثير من مشاعره الخاصة في هذا الوصف ، ثم ينهيها باوصاف جريئة يجاوز فيها الحد في المبالغة .

(٧٢) وذلك في بيته :

مثلك يا بدر لا يكون ولا تصلح الا لمثلك البول

(٧٣) الواحدي ٢١٦ وعزام ١٢٨ .

(٧٤) يؤرخ عزام ( ص ١٢٣ ) هذه القصيدة بعد ربيع الاول

من سنة ٣٢٩ ، وهو تاريخ تولي المتقي الحكم .

(٧٥) الواحدي ٢٢٤ وعزام ١٣٢ .

وفي القصيدة الاخيرة (٧٦) التي قالها بعد عودة بدر من جولته في مدى الساحل يث همومه ، بعد المقدمة الغزلية ، في بيتين يلح فيهما الى الاحداث التي طرقت ساحه في الماضي ، وكان ينكرها ، حتى كثرت وتكررت فاعترف بها وغدت له ديدنا . وينتقل الى المدح ، ولا يخرج فيه عما قال سابقاً من معاني الشجاعة والسخاء . ثم يعرج على خصومه الذين يكيدون له ، وعلى رأسهم ابن كروس الذي كتب الى بدر يقول : انما تخلف عنك ابو الطيب رغبة عنك ورفعا لنفسه عن السير معك (٧٧) . وفي هجوم ابي الطيب على هؤلاء الخصوم يصفهم بانهم سفهاء تؤماء اولاد زناء .

اما المقطوعات التي ارتجلها في مجالس بدر ، فتدل على ما كان بينهما من ود حميم والفة وثيقة . وهي تدور على الخمر اذ ارتجل اكثرها في مجالس شراب . ويدور المدح فيها على المعاني التي تردت في قصائده ، وفي احداها يصفه بأنه « سيدنا وابن سيد العرب » . ولا تخلو من الاثارة والتحضيض والتنبيه الى الدور الذي ينبغي ان يضطلع به بدر .

ولكن ايام ابي الطيب عند بدر على طولها ، ستمضي كما مضى غيرها . فأبو الطيب كما وصف نفسه لا تتركه همومه ومطامحه ان يستقر في بلد . وليست صحبة الامير على ما فيها من متعة ، وما ناله من جوائز وهبات ، ومالقيه من ود وترحيب وتكريم بمغنية عنه شيئاً . واخذ الحساد والمتشاعرون ، ممن نعرف ومن لا نعرف ، يطاردونه بمكائدهم فاضطر الشاعر الى ان يشد رحاله الى بلد آخر ما دام الممدوح لم ينتصح بنصيحته ، ولم يدرك ، على فطنته ، معنى آياته :

ومهمه جبتة على قدمي تعجز عنه العرامس الدال  
بصارمي مرتد ، بمخبرتي مجتريء ، بالظلام مشتمل  
اذا صديق نكرت جانبه لم تعيني في فراقه الحيل  
في سعة الخاققين مضطرب وفي بلاد من اختها بدل

### المصادر والمراجع

البديعي ، يوسف : الصبح المنبي عن حيشة المنبي - تحقيق مصطفى السقا واخرين . دار المعارف القاهرة ١٩٦٢ .

البغدادي ، عبدالقادر : خزنة الادب وآب لياب لسان العرب ، بولاق القاهرة ١٢٩٩ .

بلاشير ، ريجيس : ابو الطيب المنبي . ترجمة الدكتور ابراهيم كيلاني . وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٥ .

ابن جني ، ابو الفتح عثمان : الفسر ، مخطوطة قونية .

ابن حزم ، علي بن احمد بن سعيد : جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون . دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٢ .

(٧٦) الواحدي ٢٢٢ وعزام ١٢٧ .

(٧٧) انظر عزام ١٢٧ .

# التراث الفلسطيني والطبقات

صدر حديثاً

تأليف

علمي الفليبي

« غاية هذه الدراسة ، في الاساس ، مساهمتها في تكريس التراث الشعبي العربي الفلسطيني داخل نمو الثورة وتضاعفها .. واداة الدراسة المركزية هي الامثال الشعبية الفلسطينية باعتبارها جزءاً اساسياً من التراث الشعبي الفلسطيني ... وهي تؤكد القدرة الفذة لمجتمعنا العربي الفلسطيني على الصمود والحيوية والنمو والتطور طالما هو محتفظ بتراثه الشعبي ، هذا التراث الذي تحاول الامبريالية والصهيونية ، متساندتين متلاحمتين ، قتله وتدميره ، انكاراً لوجود شعب فلسطيني .. ولذلك فان كل احياء واثراء ونشر وتعميق وتحليل للتراث الشعبي الفلسطيني بكافة اشكاله والوانه هو دعم للثورة وتكريس لها ، كما انه اضاءة للمناقشة الفلسطينية ولحمة لها .. »

— من المقدمة —

منشورات دار الآداب

- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبيك : الوافي بالوفيات ج ٦ . تحقيق س . دبيرينغ . دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٢ .
- الطباخ ، محمد رافع : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج ١ - المطبعة العلمية ، حلب ١٩٢٣ .
- ابن العديم ، كمال الدين عمر : زبدة الحلب من تاريخ حلب ج ١ . تحقيق الدكتور سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٥١ .
- المتنبي : احمد بن الحسين : ديوان ابي الطيب المتنبي . صنعة الدكتور عبدالوهاب عزام ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٤ .
- ديوان ابي الطيب المتنبي — شرح ابي الحسن علي بن احمد الواحدي تحقيق فريدريخ ديتريخ ، برلين ١٨٦١ .
- المترزي ، تقي الدين : المواعظ والامتنان في ذكر الخطط والاناير ج ٢ بولاق ، القاهرة ١٢٧٠ هـ .
- ابن وكيع ، الحسن بن علي : النصف من السارق والمسروق في شعر المتنبي — تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ( مخطوط ) .

## مظاهر العظمة والطموح في شعر المتنبي

— تمة المنشور على الصفحة ٢٨ —

ولامر اخر ظل المتنبي خالداً بفنه هو هذه النبوة الشاجية العالية في شعره . وهو امر تظن اليه حازم القرطاجني التونسي وذكره بتفصيل في كتابه منهاج البلاغ ، ومما يقوله : « ان احوال جمهور الناس والمتفرغين لسماح الكلام حاتمة حول ما ينعم ويشجو » قال المتنبي :

انما تنجح المقالة في المرء اذا صادفت هوى في الفؤاد

وبعد ان عدد حازم الاحوال المستطابة او السارة قال : « والاحوال الشاجية منها احوال اعقبت فيها الوحشة من الانس والكدر من الصفاء نحو اعقاب النعم بالحبيب بالتالم لرفاهه واعقاب النعم بالشيبية بالتالم لرفاقها واعقاب النعم بالوطن المؤنس بالتالم لرفاقه واعقاب النعم بالزمن المسعد بالتالم لرفاقه . ومنها احوال كان الجور فيها وضع موضع العدل والاساءة موضع الاحسان فهي امور على غير ما يلائم ذا الفضل . وكثير ما كان ابو الطيب المتنبي يقصد ههنا الضرب واللي قبله من الشاجية فكان ذلك مما حسن موقعه من النفوس اذ اكثر الناس لا يخلو عن بعض هذه الاحوال » .

ورغم هذه النعمة الشاجية فان حكم المتنبي جاءت صورة من نفسه خالية من كل دموع للذل والانخدال والتواكل والتشاؤم . وسيظل ابو الطيب المتنبي في نظر الاجيال ، رغم جوانب القلو البلاغية في شعره رمزا ادبياً رائعاً للاعتداد العربي بالنفس وللهمة العربية وللإباء العربي .

أتونس